شرح الاربعين النبوية

(١٨-٢٩)
الظلم-الانفاق

بقلم

محسن الحسيني الجلالي

تحقيق

محمد جواد الحسيني الجلالي

The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0396

الطبعة الثامنة
١٤٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

متن الأربعين النبوية

روى الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتاب الخصال بإسناده عن النبي ﷺ قال: «من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، أخبرني ما هذه الأحاديث؟ فقال ﷺ:

١- أن تؤمن بالله وحده لا شريك له.

٢- وتعبده ولا تعبد غيره.

٣- وتقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها، ولا تؤخرها؛ فإن في تأخيرها من غير علة غضب الله عز وجل.

٤- وتؤدي الزكاة.

٥- وتصوم شهر رمضان.

٦- وتحج البيت إذا كان لك مال وكنت مستطيعاً.

٧- وأن لا تعق والديك.

٨- ولا تأكل مال اليتيم ظلماً.

٩- ولا تأكل الربا.

١٠- ولا تشرب الخمر ولا شيئاً من الأشربة المسكرة.

١١- ولا تزن.

١٢- ولا تلوط.

١٣- ولا تمشي بالنميمة.

١٤- ولا تحلف بالله كاذباً.

١٥- ولا تسرق.

١٦- ولا تشهد شهادة زور لأحد، قريباً كان أو بعيداً.

١٧- وأن تقبل الحق ممن جاء به، صغيراً كان أو كبيراً.

١٨- وأن لا تركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً.

١٩- وأن لا تعمل بالهوى.

٢٠- ولا تقذف المحصنة.

٢١- ولا تراءِ؛ فإن أيسر الرياء شرك بالله عز وجل.

٢٢- وأن لا تقول لقصير: يا قصير، ولا لطويل: يا طويل، تريد بذلك عيبه.

٢٣- وأن لا تسخر من أحد من خلق الله.

٢٤- وأن تصبر على البلاء والمصيبة.

٢٥- وأن تشكر نعم الله التي أنعم بها عليك.

٢٦- وأن لا تأمن عقاب الله على ذنب تصيبه، وأن لا تقنط من رحمة الله.

٢٧- وأن تتوب إلى الله عز وجل من ذنوبك، فإن التائب من ذنوبه كمن لا ذنب له، وأن لا تصر على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزئ بالله وآياته ورسله.

٢٨- وأن تعلم أن ما صابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.

٢٩- وأن لا تطلب سخط الخالق برضا المخلوق.

وأن لا تؤثر الدنيا على الآخرة؛ لأن الدنيا فانية والآخرة باقية.

وأن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه.

٣٠- وأن تكون سريرتك كعلانيتك، وأن لا تكون علانيتك حسنة وسريرتك قبيحة، فإن فعلت ذلك كنت من المنافقين.

٣١- وأن لا تكذب وأن لا تخالط الكذابين.

٣٢- وأن لا تغضب إذا سمعت حقاً.

٣٣- وأن تؤدب نفسك وأهلك وولدك وجيرانك على حسب الطاقة.

٣٤- وأن تعمل بما علمت، ولا تعاملن أحداً من خلق الله عز وجل إلاّ بالحق.

٣٥- وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد، وأن لا تكون جباراً عنيداً.

٣٦- وأن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت وما بعده من القيامة والجنة والنار.

٣٧- وأن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه.

٣٨- وأن تستغنم البرّ والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات.

٣٩- وأن تنظر إلى كل ما لا ترضى فعله لنفسك فلا تفعله بأحد من المؤمنين.

(أ) ولا تمل من فعل الخير.

(ب) وأن لا تثقل على أحد.

(ج) وأن لا تمن على أحد إذا أنعمت عليه.

٤٠- وأن تكون الدنيا عندك سجناً حتى يجعل الله لك جنّة.

فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عني من أمتي دخل الجنة برحمة الله، وكان أفضل الناس وأحبهم إلى الله عز وجل بعد النبيين والوصيين، وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً».[1]

وإليك شرح الأحاديث المذكورة في فصول:

---

١ الخصال: ٥٤٤، الحديث ١٩.

العدالة والظلم

العدل عماد ضروريّ في الحياة وأساس الحكم الإسلامي، فالحياة البشرية مبنية على العدالة والأديان السماويّة جاءت لحمايتها في رابطة الخالق والمخلوق والخلق أنفسهم، والعدالة هدف التشريعات الإلٰهية والوضعية منها ،وكلما كانت التشريعات أوفق للعدالة كانت أدوم وأثبت في المجتمع، والعدل هوإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، على النقيض من الظلم، ومن مظاهره: المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات العامة وإلى هذه المساواة أشار تعالى في قوله: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.[1]

وقوله: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[2]

وقوله: ﴿وإذا قلتم فأعدلوا ولوكان ذا قربى﴾[3]

والعدل أساس الحكم في الإسلام، وبلغت عناية الإسلام به عناية بالغة حتى على نفس الإنسان باعتباره الهدف الإسلامي النظام الأفضل:

قال تعالى: ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[4]

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولوعلى أنفسكم﴾[5]

وقال تعالى: ﴿ولا يجر منّكم شنئآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون﴾[6]

فقد عمّم تعالى لزوم العدل بين بني الإنسان، من دون فرق بين الصديق والقريب

---

(١) المائدة : ٨.
(٢) النحل : ٩٠.
(٣) الأنعام : ١٥٢.
(٤) النساء : ٥٨.
(٥) النساء : ١٣٥.
(٦) المائدة : ٨.

وحتى، العدّو، وفي الحديث: «من المنجيات كلمة العدل في الرضا والسخط»[١] وكفى العدالة فضلاً انّ بها قوام الحياة وأنّ الله سبحانه اختارها اسماً لنفسه فهو(العدل) بمعنى ذو العدل.

والظلم:

على الضد من ذلك، فهو سبب الهلاك وخراب البلاد والفساد بين العباد، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وقد نفاه الله عن نفسه، فقال تعالى: ﴿إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرّة﴾.[٢]

وقال تعالى: ﴿لا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنّما يؤخرّهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾[٣]

وإن الإنسان هوالذي يظلم نفسه بارتكابه جريمة محرّمة فعلها، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[٤]

وقال تعالى: ﴿ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه﴾[٥].

إن حسن العدل وقبح الظلم أمر بديهي لا يحتاج إلى تفصيل وبيان، وما أحسن ما قيل:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعوا عليك وعين الله لم تنم

ولا فرق ـ كما في الحديث النبوي ـ بين الظلم والركون إلى الظالم ولوكان قريباً حميماً، أو اعانة الظالم على ظلمه كإعطائه سوطاً أو قلماً ليكتب ويلحق أذىً بالآخرين، ففي الحديث: «من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه».[٦]

---

(١) الخرائج والجرائح ٣: ١٠٥٨.
(٢) النساء: ٤٠.
(٣) إبراهيم: ٤٢.
(٤) البقرة: ٢٢٩.
(٥) الطلاق: ١.
(٦) الكافي ٥: ١٠٧، ح ٧.

وقال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النّار﴾[١]

وقال الرضا عليه السلام: «الدخول في أعمال السلطان (الظالم) والعون له في حوائجه عديل الكفر، والنظر إليه على العمد من الكبائر التي يستحقّ بها النار».[٢]

وقال رجل للصادق عليه السلام: «جعلت فداك انّه ربما أصاب الرجل منّا الضيق أوالشدّة، فيدعى إلى البناء يبنيه أو النهر يكريه أوالمسناة يصلحها، فما تقول في ذلك؟. فقال عليه السلام: ما أُحب أنّي عقدت لهم عقدة ووكيت لهم وكاءً، وأنه لي ما بين لابتيها[٣] ولامدّة بقلم، انّ أعوان الظلم يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد».[٤]

وفي الحديث: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد».[٥]

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «من مشى إلى ظالم ليعينه وهويعلم أنّه ظالم فقد خرج من الإسلام».[٦]

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة».[٧]

٣ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة».[٨]

٤ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «من خاف القصاص كفّ عن ظلم الناس».[٩]

٥ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «شرار الناس ثلاثة... الذي يسعى إلى السلطان فيهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك السلطان».[١٠]

---

(١) هود: ١١٣.
(٢) الوسائل ١٧: ١٩٢، ح ٢٢٣٢٥.
(٣) جبلان محيطان بالمدينة.
(٤) الكافي ٥: ١٠٧، ح ٧.
(٥) الكافي ٥: ٥٢، ح ١ و٢.
(٦) الوسائل ١٧: ١٨٢، ح ٢٢٣٠٣.
(٧) الكافي ٢: ٣٣٢، ح ١٠.
(٨) شرح الازهار ٤: ٣٠٨.
(٩) الكافي ٢: ٣٣١، ح ٦.
(١٠) مستدرك الوسائل ١٣: ١٢٥، ح ١٤٩٦٧.

٦ ـ الرسول ﷺ: «من مدح سلطاناً جائراً او تخفف وتضعضع له طمعاً فيه كان قرينه في النار».(١)

٧ ـ الرسول ﷺ: «ألا ومن علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من نار.. يسلط عليه في نار جهنّم».(٢)

٨ ـ الامام علي عليه السلام في وصية للحسنى عليه السلام: «كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».(٣)

٩ ـ الامام علي عليه السلام: «والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً، وأجرّ في الأغلال مصفّداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أوغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يُسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها؟».(٤)

١٠ ـ الباقر عليه السلام: «ما انتصر الله من ظالم الّا بظالم، وذلك قوله عزوجل: ﴿وكذلك نُولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾(٥)

١١ ـ الباقر عليه السلام: «لما حضرت أبي الوفاة ضمّني إلى صدره، ثم قال: يا بُنيّ أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة... إيّاك وظلم من لم يجد عليك ناصراً الّا الله».(٦)

١٢ ـ الباقر عليه السلام: «ما من أحد يظلم مظلمة الّا أخذه الله بها في نفسه وماله، فأمّا الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر له».(٧)

١٣ ـ الباقر عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والرّاضي به شركاء ثلاثتهم».(٨)

١٤ ـ الصادق عليه السلام: «إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من مال المظلوم».(٩)

١٥ ـ الصادق عليه السلام: «من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشرّ إذا فعل به، أما إنّه إنّما يحصد

---

(١) من لايحضره الفقيه ٤: ١١.
(٢) من لايحضره الفقيه ٤: ١٧.
(٣) نهج البلاغة ٣: ٥٧٦، الكتاب ٤٧.
(٤) نهج البلاغة ٢: ٢١٦، الخطبة ٢٢٤.
(٥) تفسير العياشي ١: ٣٧٦، والآية في سورة الانعام ١٢٩٤.
(٦) الكافي ٢: ٣٣١، ح ٥.
(٧) الوسائل ١٦: ٤٧، ح ٢٠٩٤٢.
(٨) الكافي ٢: ٣٣٣، ح ١٦.
(٩) الكافي ٢: ٣٣٤، ح ٢٢.

بن آدم ما يزرع وليس يحصد أحد من المرّ حلواً ولا من الحلو مرّاً».[١]

١٦ ـ الصادق عليه السلام: «ما من مظلمة أشدّ من مظلمة لايجد صاحبها عليها عوناً الّا الله».[٢]

١٧ ـ الصادق عليه السلام: «من عذّر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه وإن دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته».[٣]

١٨ ـ الصادق عليه السلام: «إن العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعوا حتّى يكون ظالماً».[٤]

١٩ ـ الصادق عليه السلام: «من أحبّ بقاء الظالمين فقد أحبّ أن يعصى الله، إن الله تبارك وتعالى حمد نفسه على هلاك الظلمة فقال: ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين﴾».[٥]

والتوبة من الظلم تختلف مراتبها، ويجمعها كلام الإمام علي عليه السلام:

«ألا وان الظلم ثلاثة: فظلم لايغفر، وظلم لايترك، وظلم مغفور لايُطلب.

فأما الظلم الذي لايغفر فالشرك بالله، قال الله سبحانه: ﴿إنّ الله لايغفر أن يشرك به﴾.

وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات.

وأما الظلم الذي لايترك فظلم العباد بعضهم بعضاً».[٦]

فإنّ الذنب إن كان ظلماً للنفس فلا يُغفر الّا بالتوبة إلى الله تعالى، وأما ظلم العباد بأكل أموالهم أواتلاف حقوقهم فلا يكون الّا بردّ الأموال إلى أصحابها وإعطاء الحقوق لمستحقيها.

---

(١) الكافي ٢: ٣٣٤، ح ٢٢.
(٢) الكافي ٢: ٣٣١، ح ٤.
(٣) الكافي ٢: ٣٣٤، ح ١٨.
(٤) الكافي ٢: ٣٣٣، ح ١٧.
(٥) معاني الاخبار: ٢٥٣، والآية في سورة الانعام: ٤٥.
(٦) نهج البلاغة ٢: ٩٠، الخطبة ١٧٦.

الحقّ والحقيقة

وإذا كان الظلم والركون إلى الظالم ظلماً فالأخذ بالحقّ والحقيقة يكون عدلاً، كما جاء في الحديث النبوي: «وأن تقبل الحق ممّن جاء به صغيراً كان أوكبيراً».[1]

إن العدل والحق متلازمان ﴿فما ماذا بعد الحق الّا الضلال﴾[2] لأنّ بذرة الخير لاتُنبت خيراً ولا تُنبت شراً، ومهما تعترضه من الفتن والشبهات، فإن الحق لابد وأن يبدو نوره وينجلي الصبح، ولا ينقضي زمن قصير الّا وتتهاوى المناظر الخادعة والمظاهر الكاذبة، التي لاتنطلى الّا على من ابتعد عن الحقيقة ولم يتأمّل عاقبة الأُمور، فالحقّ أحقّ أن يُتّبع. وهو اسم من أسماء الله تعالى اسمه، وهو المفهوم الذي في ظله يستريح الضمير وتهدأ النفس ويطمئن القلب، وعليه تنعقد آمال المظلومين والمستضعفين، إنّه الحقّ والفطرة الإنسانية، التي تهدف الخير وتبرأ من الشرّ، ويتخلص الإنسان به عن وخز الضمير وقديما قيل: (للحق دولة وللباطل جولة).

إن الصدق حقّ، والأمانة حق، والاهتمام والعمل بالواجب الإنساني حق، والكذب باطل والخيانة باطل، والاهمال بالواجب باطل، والمراد من الدولة الدوام والثبات، فالنصر دائماً للحقّ، وبالعكس الهزيمة والانتكاس دائماً للباطل، وهنا يكمن السرّ الذي تقدّم به الغربيون لأنهم التزموا في حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة بالنقاط الثلاث ـ المتقدّمة ـ للحق، واجتنبوا النقاط المعاكسة الثلاث للباطل، فلابدّ أن ينتصروا، ولابدّ أن يتأخر من يتأخّر إذا كان متهاوناً بهذه المبادىء الإسلامية، كافراً بها عملاً؛ مهما نبرّر تقاعسنا وعدم التزامنا؛ إذ لايعرف التاريخ ظالماً يظلم وهويعتبر نفسه ظالماً، فكم من المتنازعين يجري

---

(١) راجع نص الحديث في أول الكتاب.

(٢) يونس: ٣٢.

كل منهما وراء محامٍ خاص وقد يكون الحقّ معروفاً في قرارة أنفسهم.

وإنّما يبرر دائماً عمله بما يعتبر نفسه على حقّ وخصمه على الباطل، ولكن وجه الحقّ والحقيقة لا تنطلي على أحد، والتاريخ لهم بالمرصاد.

وحيث يلتبس الحق بالباطل دائماً يلزم أن نعرف المقياس الذي به التمييز، والاسلام حافل بالمقايس العادلة والموازين الدقيقة، مما يربي الضمير ويوقظ الوجدان، وينهي الإنسان الشريف عن الطمع في حقوق الناس، والمقياس بيد الإنسان نفسه، و هو (مخالفة الهوى) المنهي عنه، وقد أخذ أهل البيت النبوي طول التاريخ جانب الحق، وضحّوا لذلك بكلّ نفس ونفيس حتى قال الإمام الكاظم عليه السلام: «قل الحق ولو كان فيه هلاكك».(١)

وتاريخ حياة كلّ واحد منهم حافل بالتضحيات بالرغم من مضايقة السياسة لهم، ولكن أين الملوك؟ وأين السياسات؟ وأين الفراعنة؟ ولا يذكرهم لا تاريخ الّا مع الاشمئزاز ممّا مارسوه من الخلاعة والمجون والتلاعب بالعدالة وقلب الحقائق، وعلى العكس نجد في ذكرى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيت النبوة روح العدالة وضمير الإنسانية الخالدة.

---

(١) تحف العقول: ٤٠٨.

التقوى والهوى

قال تعالى: ﴿وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى﴾[1]

الهوى والتقوى حقيقتان متضادّتان، فالتقوى يعتي الإرادة القوية من فضائل النفس الإنسانية، بل أعظمها فضلاً وأكثرها كمالاً لما يترتب عليه من الوصول إلى معالي الأمور، بل تعتبر الإرادة مفتاح السعادة، ويتّصف بالإرادة الكاملة الإنسان صاحب الهمّة العالية وروح المقاومة للشدائد والصبر والحكمة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، الذي بها يتميّز الإنسان على سائر الحيوانات. وبهذا السبب يعظّم التاريخ أصحاب الإرادة الإنسانية على الرغم من اختلاف بلادهم وألوانهم، وإنّما يعظمون لما أحكموا إرادتهم الإنسانية ولم يرضخوا للباطل وبذلوا دماءَهم لهدف إنساني كريم كالإمام الحسين عليه السلام سيد الشهداء الذي أصحبت مواقفة الإسلامية درساً للأجيال وعبرة للتاريخ. فالإرادة الإنسانية هي العامل الوحيد في انتصار المبادىء والسلوك في طريق الرقيّ والوصول إلى أوج الكمال، وليس الرجال الذين أدركوا السيادة والزعامة الّا وأحسنوا استخدام هذه الإرادة اقتضاء لأثر عظيم من عظماء التاريخ فحالفهم الحظ ونالوا السعادة، وبالعكس تماماً حال من أهمل الإرادة واتبع الهوى فما كانت النتيجة الّا إلا الذّلّ والخسران.

والفارق بين الدين والقانون الوضعي ينجلي في ظاهرة (الهوى) فإن القوانين الوضعية لاتجدي نفعاً الّا لمن خاف الوقوع في قبضة السلطة، وليس كلّ فرد يخاف ذلك، وكم يحفظ التاريخ من المتلاعبين بالقانون والمعتدين على السلطة وهم في حماية القانون، وأما صاحب الدين فهويخاف الله ويلتزم بالتقوى، وهذا الالتزام يُنهى النفس الأمّارة

---

(١) النازعات: ٤١ ـ ٤٠.

بالسوء وهو قالع لكلّ طمع سراً و علناً.

قال الرسول ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل». وهذا الكلام الحكيم منه ﷺ بيان لمفتاحي الشر، كما فيه الارشاد الى الوقاية منهما، وهما:

أولاً: اتّباع الهوى، فإنّه يعني الانتهاء إلى الشرّ، لأن النفس أمّارة بالسوء، والإنسان بطبعه يميل إلى الخلود الى الراحة وعدم المسؤولية، بالعكس من موقف الدين والعقل.

وثانياً: طول الأمل، ومعناه تأجيل الواجب وتأخيره عن وقته على أمل الحياء، بل يجب أداء الواجبات سواء الاجتماعية والروحية وعدم تأخيرها على أمل أدائها في المستقبل.

في رحاب السُّنَّة:

١ـ الرسول ﷺ: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل».(١)

٢ـ الرسول ﷺ: «من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة».(٢)

٣ـ وفي الحديث القدسي: «أيّما عبد أطاعني لم أكله إلى غيري، وأيما عبد عصاني وكلته إلى نفسه».(٣)

علي عليه السلام: «أيّها الناس تولّوا من أنفسكم وتأديبها واعدلوا بها عن ضرواة عاداتها».(٤)

علي عليه السلام: «من كانت همه آخرته كفاه الله همه من الدنيا، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانية ومن اصلح فيما بينه و بين الله عزوجل اصلح الله ينارل وتعالى فيما بيته وبين الناس».(٥)

الصادق عليه السلام: «اجعل نفسك عدّواً تجاهده».(٦)

---

(١) الكافي ٨: ٥٨.
(٢) الخصال: ١٥، ح ٥٤.
(٣) من لايحضره الفقيه ٤، ٤٠٤، ح ٥٨٦٩.
(٤) نهج البلاغة ٤: ٨٤، الحكمة ٣٥٩.
(٥) الكافي ٨: ٣٠٧، ح ٤٧٧.
(٦) من لايحضره الفقيه ٤: ٤١٠، ح ٥٨٩٢.

الصادق عليه السلام: «أقصر نفسك عمّا يضُرّ بها من قبل أن يفارقك، واسع في فكاكها كما تسع في طلب معيشتك».

والتقوى هو جعل النفس في وقاية من الانحراف في السلوك، وقد اهتّم به الإسلام كثيراً وجعله هدفاً لكثير من الأحكام، قال تعالى: ﴿اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن الّا وأنتم مسلمون﴾.(١)

والتقوى معناه أداء الواجبات وترك المعاصي، وبعبارة أوضح هو التجّرد عن كلّ ما يضر الإنسان سواء في نفسه أومجتمعه ووطنه والالتزام بالواجبات الزوجيّة والاجتماعية والاقتصادية والكمال الذي يحصل بالتقوى هو السبب المباشر في التقدم و الازدهار، وذلك بالآتقاء عن مهلكات الشعوب على حدّ الإتقاء عن مهلكات الفرد، وباتقاء مهلكات الآداب والإنسانية على حدّ الاتقاء عن مهلكات الدولة، وبالاتقاء عن مهلكات الفنون والصناعات على حد الاتقاء عن مهلكات الشخصّيّة، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ومن يتقّ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب﴾.(٢) وقال أيضاً: ﴿ومن يتقّ الله يجعل له من أمره يسراً﴾.(٣) وقال ايضاً: ﴿ومن يتّق الله يكفّرِ عنه سّيئآته ويعظم له أجراً﴾.(٤)

فالتقوى هدف إسلامي عظيم في الحياة، يقول سبحانه في فريضة الحج: ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾.(٥)

وقال تعالى: ﴿إنَّ أكرمكم عندالله أتقاكم﴾.(٦)

وقال تعالى: ﴿وتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى﴾.(٧)

---

(١) آل عمران :١٠٢.
(٢) الطلاق: ٢ـ٣.
(٣)الطلاق: ٤.
(٤) الطلاق: ٥.
(٥) الحج :٣٧.
(٦)الحجرات: ١٣.
(٧) البقرة: ١٩٧.

حدّ التقوى:

والتقوىٰ معناه أن يطاع الله فلا يعصى، ويشكر فلا ينسى، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «والمجاهدة في الله وان لا تأخذه في الله لومة لائم». فقد قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾.(١)

والقرآن الكريم أشاد كثيراً بأوصاف المتقين، ونكتفي منها بما يأتي:

١ ـ ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾.(٢)

٢ ـ ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتّقين الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الّا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾.(٣)

٣ ـ ﴿إنّ المتّقين في جنّات وعيون آخذين ماءآتاهم ربّهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حقّ للسائل والمحروم﴾.(٤)

ويكفي موعظةً للتقوى والإقلاع عن الهوى ذكر (الموت) الذي يرسل كلّ يوم إلى القبور الأصدقاء والأحباب من دون تمييز بين الشيوخ والشباب، فيودعون القبور المظلمة بلا أنيس ولا جليس سوى ما قدّمت أيديهم من العمل الصالح، وما أعظم الموت من عبرة، وما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار.

---

(١) التغابن: ١٦.
(٢) البقرة: ٢ ـ ٥.
(٣) آل عمران ١٣٣ ـ ١٣٥.
(٤) الذاريات: ١٥ ـ ١٩.

السبّ والقذف

كما يهدف الإسلام تزكية ضمير الإنسان من نيّة السوء بالتشريعات العبادية، كذلك يهدف إلى تزكية اللسان من ألفاظ السوء، وهي:

١ـ اللعن، بمعنى الطرد من الخير.

٢ـ السبب، وهو الشتم الموجع.

٣ـ الفحش، وهو الكلام القبيح.

وتجمعها كلها صفة القبيح من الكلام، قال الباقر عليه السلام: «سلاح اللئام قبيح الكلام».[١] وكان النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرون في سيرتهم مثالاً رائعاً في تزكية اللسان، وما سمع من الحسن بن علي عليه السلام كلمة فحش سوى قوله لعمرو بن عثمان في خصومة «ليس له عندنا إلاّ ما أرغم أنفه»[٢] فإن هذا أشّد كلام سمع منه.

وكان الامام علي عليه السلام ينهى أصحابه من سب أهل الشام بالرغم من الحرب بينهم، قال عليه السلام: «كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين تشتمون وتبرون، ولكن لو وصفتم مساوىء أعمالهم فقلتم: من سيرتهم كذا وكذا، ومن أعمالهم كذا وكذا، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لسبكم إيّاهم وبراءتكم منهم: اللهم إحقن دماءهم ودماءنا، وأصلح ذات بينهم وبيننا واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان منهم من لهج به، لكان أحب إليَّ وخيراً لكم»[٣].

وهذا درس عظيم من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مثل تلك الظروف الصعبة حيث يطلب الدعاء للعدو بالهداية بدل الدعاء عليه، وما أقدسه من خُلُقٍ إسلامي رفيع.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام في رجلين يتسابان: «البادئ منهما أظلم، وزره ووزر صاحبه

---

(١) بحار الانوار ٧٨: ١٨٥، ح ١٤.

(٢) بحار الانوار ٤٣: ٣٥٨، ح ٣٦.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٨٥، الخطبة ٢٠٦.

عليه ما لم يعتذر الىٰ المظلوم»[١] ذلك أن السب لو تكرر من الانسان بالنسبة إلى ما لا يعقل من الزمان كالأيام والأجرام السماوية فسوف يصبح ذلك عادة للإنسان فيستعمله فيمن يعقل، ويحصل الوبال عليه؛ إذ من الطبيعي أن يكون السب يجرّ سباً، والعداء يستتبع العداء وهكذا، وإلى ذلك يشير الكلام الإمام الصادق عليه السلام: «إنّه من سبّ أولياء الله فقد انتهك سب الله».[٢] وإذا كان الاتهام خفيفاً ولا يتأثر به الإنسان الشريف حيث يعلم أنّ هذا الاتهام ناشيء من قلّة الأدب، فلا بدّ فيه الموعظة والنصيحة، قال الصادق عليه السلام: «إذا قال الرجل: أنت خبيث فليس فيه حدّ، ولكن فيه موعظة وبعض العقوبة».[٣]

أي العقوبة الأدبية، وقضى أمير المؤمنين عليه السلام في الهجاء التعزير، وقضى أيضاً في رجل دعا آخر: ابن المجنون، فقال له الآخر: أنت ابن المجنون. فأمر الأول أن يجلد صاحبه عشرين جلدة، وقال: اعلم أنه ستعقب مثلها، فلما جلده أعطوا المجلود السوط فجلده. نكالاً ينكل بهما»[٤] وأقصى ما يتصوّر في الإساءة بالشريف الاتهام بالخيانة الزوجية و(القذف) وهواتّهام الإنسان بالزنا أو اللواط.

قال تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثمّ لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً و أولئك هم الفاسقون﴾.[٥]

وما أشدّ عقوبة القاذف من الجلد وعدم قبول الشهادة أبداً ممّا يكون قالعاً لمادة هذه الجريمة الأخلاقية التي تسبّب تفكك الأُسر وانعدام الخلق الكريم.

قال تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعفوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾[٦]

وكان للإمام الصادق عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه، فقال يوماً لغلامه: يابن الفاعلة. فرفع الإمام عليه السلام يده فصكّ بها وجه نفسه وقال: «تقذف أُمّه؟! قد كنت أرى أنّ لك ورعاً؛ فإذا ليس لك ورع. فقال: جعلت فداك، أُمّه سنديّة مشركة. فقال: أما علمت أنّ لكل أُمة نكاحاً،

---

(١) شرح اصول الكافي ١٠: ١٦.
(٢) الكافي ٨: ٧.
(٣) الكافي ٧: ٢٤١، ح ٦.
(٤) التهذيب ١٠: ٨١، ح ٣١٩.
(٥) النور: ٤.
(٦) النور: ٢٣.

فتنحّ عنّي».[١] فلم يمش معه حتى فرّق بينهما الموت.[٢]

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «الموبقات السبع: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات».[٣]

٢ ـ الرسول ﷺ: «لا تسبّوا الناس فتكسبوا العداوة لهم».[٤]

٣ ـ الرسول ﷺ: «إن الله حرَّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيٍ قليل الحياء، لايبالي ما قال ولا ما قيل له».[٥]

٤ ـ الرسول ﷺ: «ما كان الحياء في شيء قط الّا زانه، ولا كان الفحش في شيء قط الاّ شانه».[٦]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «إن اللعنة إذا خرجت من فيّ صاحبها ترددت، فإن وجدت مساغاً وإلاّ رجعت على صاحبها».[٧]

٦ ـ الصادق عليه السلام: «ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: الديّوث من الرجال، والفاحش المتفحّش،الذي يسأل الناس وفي يده ظهر غنى».[٨]

٧ ـ ونهى الصادق عليه السلام أن يُقذف من ليس على الإسلام الّا أن يُطّلع على ذلك منهم. وقال عليه السلام: «أيسر ما فيه أن يكون كاذباً».[٩]

٨ ـ الرضا عليه السلام: «حرّم الله قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب، ونفي الولد، وإبطال المواريث، وترك التربية، وذهاب المعارف، وما فيه من المساوىء والعلل التي تؤدّي إلى فساد الخلق».[١٠]

---

(١) الكافي ٢: ٣٢٤، ح ٥.
(٢) الكافي ٢: ٣٢٤، ح ٥.
(٣) الخصال: ٣٦٤، ح ٥٧.
(٤) الوسائل ١٢: ٢٩٧، ح ١٦٣٤٨.
(٥) الكافي ٢: ٣٢٣، ح ٣.
(٦) روضة الواعظين: ٤٦٠.
(٧) الكافي ٢: ٣٦٠، ح ٧.
(٨) الوسائل ٩: ٤٣٨، ح ١٢٤٣٣.
(٩) النوادر: ١٥٣، ح ٣٩٢.
(١٠) من لايحضره الفقيه ٣: ٥٦٥، ح ٤٩٣٤.

الحياء

والحياء يضادّ الفحش في الصفات، قال النبي ﷺ: «ما كان الفحش في شيء قط الّا شانه ولا كان الحياء في شيء قط الّا زانه». فإنّ رعاية الأدب ومقابلة الإساءة بالإحسان ينزع من المعتدي روح البغضاء، ويكون سبباً مباشراً في المحبّة والودّ، بينما (القذف والفحشاء) يزيد في العداء والبغضاء، فالحياء صفة حميدة من صفات الأنبياء والمرسلين وخلق كريم من أخلاق العباد والصالحين.

والحياء من الأيمان ـ كما في الحديث ـ لأنّه يمنع الإنسان من فعل ما يشين، ويدفعه إلى عمل ما يزين، فيبتعد عن القبيح و المنكر، ومن حُرِم الحياء وقع في أحضان السوء ويعيش كلّاً على المجتمع ويتمنّى المجتمع الخلاص منه؛ إذ ليس له ضمير يمنعه من القبائح ويحول بينه وبين الشرور، فاللازم على كل إنسان أن لا يستعمل لسانه في المعصية وسوء الألفاظ كالسب والشتم من الكلمات النابية، ويتّصف (بالحياء) من الأفعال القبيحة كي يعيش سعيداً ويكون حميداً.

الرياء والإخلاص

قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[1]

الرياء هو التظاهر بالخير من دون حقيقة؛ لينال رضا الناس، وذلك بإتيان ما يدلّ عليه من الآثار التي يستدلّ بها على الخير، وقد شدّد الإسلام على الرياء بصفة عامة وفي العبادات بصفة خاصة، وأنكر ذلك بعبارات قاسية؛ لأن الرياء تفسد العبادة كذلك سائر الأعمال، فمن بنى بيتاً ليظهر للناس كماله لايتهم طبعاً بحقيقة هذه الأوصاف، و البناء المتضعضع الأساس خائر لامحالة مهما كان ظاهره متيناً متماسكاً.

لذلك أبطل الإسلام العبادة رياءً؛ لأنّ الأعمال بالنيّات. والعبادات إنما تتقوّم بقصد القربة، بل المرائي في العبادة أسوأ حالاً من تارك العبادة حيث يعتبر هذا مستهزءاً بها.

سئل رسول الله ﷺ ما النجاة غداً؟ فقال ﷺ: «إنّما النجاة في أن لاتخادعوا الله فيخدعكم، فإنّه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يعتبر. قيل له: كيف يخاد الله؟. قال: يعجّل بما أمر الله ثم يريد غيره، فاتقوا الله في الرياء فإنّه الشرك بالله، إن المرائي يدّعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا فاجر، يا كافر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له».[2]

وكذلك الشأن في أمور الدنيا فالذي يصرف أمواله على الناس للشهرة ويتظاهر بفاخر الثياب وأحدث السيّارات في حين أنّه أحوج إلى تأمين حاجاته الضرورية وتأمين المستقبل، وتفتقر عائلته، لابدّ أن يقال لهذا الإنسان في المستقبل حيث الحاجة الملحة

---

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) امالي الصدوق: ٦٧٧، ح ٩٢١.

إلى الحياة السعيدة: «يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممن منك تعمل له». وخذ اليوم نتيجة الرياء والاهمال والإسراف في مظاهر الدنيا الزائلة المختلفة باختلاف الزمان والمكان والافراد.

وفي نفس الوقت الذي يندد الإسلام بالإسراف يندّد أيضاً بالذين يتحاشون الحلال قائلاً: ﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق﴾.(١)

ونهى عن السلوك في طريق التهمة وإن كان صحيحاً قائلاً: «رحم الله امرءاً جبّ الغيبة عن نفسه».

ومن هذا نعرف وجهة نظر الإسلام في (التصرف السلبي) وبتعبير أدق (الملامتي) وهوأن يتظاهر المطيع بالمعصية لغرض عدم اطلاع الناس على حقيقة حاله، على طرف النقيض من المرائي ؛ فإن كلاهما طريقان للباطل، حيث أنّ الإسلام يأمر في أحكامه بالظاهر والباطن على حد سواء، كما في أحكام الحج والصلاة وخاصة الصلاة الجامعة والانفاق؛ إذ لاتكون الحياة سعيدة الّا بالموازنة بين الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوفٌ عليهم ولاهم يحزنون﴾(٢)

فالإنفاق بنص القرآن الكريم مطلوب شرعاً سراً وعلانية.

وأمّا الرياء في الانفاق، فمعناه أن يبذل المال للفقير لالسدّ حاجة الفقير كما هوالمطلوب في الانفاق، بل لغرض سدّ حاجة نفسه وهي إظهار الغنى أو بيان فقر الفقير، فهذا هو الرياء الممقوت الذي يبطل الهدف من الانفاق، وهو:

١ ـ استخدام المال في سدّ حاجة الفقير.

٢ ـ وإغناء الفقير من السؤال.

٣ ـ وثواب الآخرة.

---

(١) الأعراف : ٣٢.

(٢) البقرة : ٢٧٤.

لأنّ الله عالم بقصده الرياء فهو بنفسه فوّت ثواب الآخرة، والفقير يعلم أنّ المال لم يبذل لانقاذه من هوّة الفقر، بل لغرض آخر وهو إظهار الاستعلاء، فإذاً لايجد موجباً للمكافأة الحسنة، ولا لاستخدامه في إسعاد نفسه ولا سبباً للانقطاع من السؤال، بل يسعى للانتقام من الذين هدفهم من الانفاق تحقير الفقير، وليس معنى ذلك أن يقتصر الانفاق على السرّ، ولقد قيل لرسول الله ﷺ: إني أسر في العمل لأحبّ أن يطلع عليه أحد، فيطلع عليه فيسرّني، قال ﷺ: «لك أجران: أجر السر وأجر العلانية».[١]

بل قد يستحسن إظهار المعروف في الاجهار بالخير فيما إذا كان ذلك سبباً لاقتداء الآخرين به ـ كما في كبار القوم ـ فيكون ممن سنّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ـ كما في الحديث [٢] ـ كما أن من سنّ سنة سيّئة فعليه وزرها وزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

والمقياس في اختبار النفس هو مراجعة محكمة الضمير ليعرف نفسه هل أنّه (مخلص) أو(مرائي) يلاحظ مطابقة قوله لفعله و ظاهره لباطنه، بأن يعرض نفسه على العلامات الثلاث التي ذكرها الإمام علي عليه السلام قال: ثلاث علامات للمرائي:

١ ـ ينشط إذا رأى الناس.

٢ ـ ويكسل إذا كان وحده.

٣ ـ ويحبّ أن يحمد في جميع أموره».[٣]

وما أدّقه من قياس، ويكفي لمن يريد الإقلاع عن هذه العادة الخبيثة التأمّل بأن الباعث على الرياء هوطلب رضى الناس و حب المدح وخوف الذم وكما في الحديث: «رضى الناس غاية لاتدرك»[٤] ومهما جدّ الإنسان في طلب رضاهم كان أبعد من رضاهم، والتظاهر ممّا لاواقع له سواء في الماديات أوالعبادات مهما كثرت صوره وفنونه؛

---

(١) بحار الانوار ٧٢: ٢٧٤.

(٢) الكافي ٥: ٩، ح ١.

(٣) مستدرك الوسائل ١: ١١٤، ح ١٢٩.

(٤) الحكمة الخالدة، لابن مسكويه: ١٠٨.

فإنّه لايخفى على أهله وإن خفي على السذج لبضعة أيّام، وسوف يسجّل التاريخ ذلك كنقطة سوداء وهولا يرحم ولا يجامل، فإنّ الشعارات الفارغة والدعايات المظلّلة مهما غرّت من جماعات فإنها لاتغري أهل التحقيق، فإذا كان رضى الناس غاية لاتنال وما يرضى البعض يسخط الآخرين، فالأفضل أن يجتنب الإنسان الرياء ويؤدّي الواجب عليه مهما كانت الظروف والأحوال، ولا يضع قدمه الّا في موضع ثابت؛ فإن للحق دولة وللباطل جولة.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «اجتنبوا الرياء فإنّه شرك بالله».[١]

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «أعظم الشقاء... رجل ترك الدنيا للدنيا، ففاتته الدّنيا وخسر الآخرة، ورجل تعبَّد واجتهد وصام رياءً للناس وذلك الذي حُرِمَ لذّات الدنيا من دنيا ولحقه التعب الذي لوكان به مخلصاً لاستحق ثوابه».[٢]

٣ ـ سئل الباقر عليه السلام: عن الرجل يعمل شيء من الخير فيراه الإنسان فيسّره ذلك، فقال عليه السلام: «لا بأس، ما من أحد الّا وهويحبّ أن يظهر له في النّاس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك».[٣]

٤ ـ الباقر عليه السلام: «الإبقاء على العمل أشد من العمل... يصل الرجل بصلة وينفق بنفقة لله وحده لاشريك له فيكتب له سراً، ثم يذكرها منه فتمحى وتكتب له علانية،[٤] ثم يذكرها فتمحى وتكتب رياءً».[٥]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له».[٦]

---

(١) بحار الانوار ٧٢: ٢٩٥، ح ١٩.
(٢) عدة الداعي: ٩٣.
(٣) الكافي ٢: ٩٧، ح ١٨.
(٤) أي ثوابها.
(٥) الكافي ٢: ٢٩٦، ح ١٦.
(٦) الكافي ٢: ٢٩٥، ح ٩.

٦ ـ الصادق عليه السلام: «كلّ رياء شرك، إنّه من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله».[١]

٧ ـ الصادق عليه السلام: «يقول الله عزّوجلّ أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لن أقبله، الّا ما كان لي خالصاً».[٢]

٨ ـ الرضا عليه السلام: «اعملوا لغير رياء ولا سمعة؛ فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل... ما عمل أحد عملاً الّا زاده الله[٣] إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً».[٤] فإذا لم يكن في العمل إخلاص كانت النتيجة المتوخّاة بدون ثواب، فإن كان خيراً يكتب خيراً والعكس بالعكس، بخلاف الإخلاص فإن المخلص مثاب دائماً.

والإخلاص:

هوالعمل مجرّداً عن الغش والخداع، على العكس من الرياء تماماً، وليس فيه تظاهر بل هوالواقع بعينه.

وعن الحواريين انهم قالوا لعيسىٰ عليه السلام: ما الخالص من الاعمال؟ فقال: «ان تعمل لله، لاتحبّ أن تحمد عليه».[٥] أي لاتعبد هوى نفسك ولا تعبد الّا ربّك وتستقم في عبادتك كما أُمرت، وذلك لأن أي عمل يقوم به الإنسان بدون إخلاص فيه لاقيمة له ولا وزن.

قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص﴾[٦]

والخطاب الموجّه للنبيّ صلى الله عليه وآله إنّما هوباعتباره موّجهاً وهادياً للأمة في الحياة، ويقرن سبحانه بين الإخلاص والعمل في قوله: ﴿وما امروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين

---

(١) الكافي ٢: ٢٩٣، ح ٣.
(٢) مستدرك الوسائل ١: ١٠٠، ح ٨٧.
(٣) أقرّه عليه.
(٤) الكافي ٢: ٢٩٤، ح ٥.
(٥) التحفة السنية: ٧٦ (مخطوط).
(٦) الزمر: ٢ ـ ٣.

فإنّه لايخفى على أهله وإن خفي على السذج لبضعة أيّام، وسوف يسجّل التاريخ ذلك كنقطة سوداء وهولا يرحم ولا يجامل، فإنّ الشعارات الفارغة والدعايات المظلّلة مهما غرّت من جماعات فإنها لاتغري أهل التحقيق، فإذا كان رضى الناس غاية لاتنال وما يرضى البعض يسخط الآخرين، فالأفضل أن يجتنب الإنسان الرياء ويؤدّي الواجب عليه مهما كانت الظروف والأحوال، ولا يضع قدمه الّا في موضع ثابت؛ فإن للحق دولة وللباطل جولة.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «اجتنبوا الرياء فإنّه شرك بالله».[١]

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «أعظم الشقاء... رجل ترك الدنيا للدنيا، ففاتته الدّنيا وخسر الآخرة، ورجل تعبّد واجتهد وصام رياءً للناس وذلك الذي حُرِمَ لذّات الدنيا من دنيا ولحقه التعب الذي لوكان به مخلصاً لاستحق ثوابه».[٢]

٣ ـ سئل الباقر عليه السلام: عن الرجل يعمل شيء من الخير فيراه الإنسان فيسّره ذلك، فقال عليه السلام: «لا بأس، ما من أحد الّا وهويحبّ أن يظهر له في النّاس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك».[٣]

٤ ـ الباقر عليه السلام: «الإبقاء على العمل أشد من العمل... يصل الرجل بصلة وينفق بنفقة لله وحده لاشريك له فيكتب له سراً، ثم يذكرها منه فتمحى وتكتب له علانية،[٤] ثم يذكرها فتمحى وتكتب رياءً».[٥]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له».[٦]

---

(١) بحار الانوار ٧٢: ٢٩٥، ح ١٩.
(٢) عدة الداعي: ٩٣.
(٣) الكافي ٢: ٩٧، ح ١٨.
(٤) أي ثوابها.
(٥) الكافي ٢: ٢٩٦، ح ١٦.
(٦) الكافي ٢: ٢٩٥، ح ٩.

العيب والحسد

عيب الناس ناشئٌ من عيبٍ في النفس، وهوعلى الأغلب الحسد وسوء الظن والعجب والبخل وما شابهها من نقاط الضعف، والعيب هو كلّ ما يزيد أو ينقص عن الجرى الطبيعي كزيادة إصبع أو نقصانه.

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظن إثم ولاتجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيُحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾[1]

فقد أمر تعالى بالاجتناب عن هذه الصفات؛ لأن كل صفة منها مرتبطة بأخرى، إمّا سبباً لها أونتيجة، فالظن منشأهُ الضعف، و التجسس عن العيب سببه الحسد ونحوه، والغيبة أساسها الجبن، وهذه الصفات الذميمة لا يرضاها الإنسان لنفسه فلابد أن لا يرضاها لأخيه الإنسان.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة»[2] فويل لهؤلاء العيّابون من غضب الله تعالى الذي يلحقهم في حياتهم أينما كانوا، وهم الخاسرون روحياً لرحمة الله، واجتماعياً لثقة الناس، وما أعظمها من خسارة.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «لاتذمّوا المسلمين ولاتتّبعوا عوراتهم؛ فإنّه من يتتبّع عوارتهم تتبّع

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) الكافي ٢: ٢٠٠، ح ٥.

الله عورته، ومن تتبّع الله عورته يفضحه ولو في بيته».(١)

٢ ـ الرسول ﷺ: «من مشىٰ في عيب أخيه وكشف عورته كانت أُولى خطوة خطاها وضعها في جهنّم، وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق».(٢)

٣ ـ الرسول ﷺ: «من أذاع فاحشة كان كمبتديها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتّى يركبه».(٣)

٤ ـ الامام علي عليه السلام: «طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس».(٤)

٥ ـ الامام علي عليه السلام: «من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره... ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه».(٥)

٦ ـ الامام علي عليه السلام: «الأشرار يبتغون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح».(٦)

٧ ـ الامام علي عليه السلام: «أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله».(٧)

٨ ـ الامام علي عليه السلام: «جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه».(٨)

٩ ـ الامام الصادق عليه السلام: «أحبّ إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي».(٩)

١٠ ـ الامام الصادق عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان».(١٠)

والحسد أكثر الأسباب الداعية إلى العيب، وقد يكون أيضاً ناشٍ من والبخل والحرص.

والحسد مرض اجتماعي خطر متفش في المجتمع إلى حد كبير لا يجعل للحاسد راحة ويتركه في شقاء لازم وعذاب نفسي دائم.

---

(١) الكافي ٢: ٣٥٤، ح ٢.
(٢) ثواب الاعمال: ٢٨٨.
(٣) الوسائل ١٢: ٢٧٧، ح ١٦٢٩٦
(٤) نهج البلاغة ٢: ٩٦، الخطبة ١٧٦.
(٥) نهج البلاغة ٤: ٨١، الحكمة ٣٤٩.
(٦) مستدرك سفينة البحار ٧: ٥٠٣.
(٧) الوسائل ١٥: ٢٩١، ح ٢٠٥٤٥.
(٨) الارشاد: للمفيد ١: ٢٩٩.
(٩) الكافي ٢: ٣٦٩، ح ٥.
(١٠) الكافي ٢: ٣٥٨، ح ١.

والحسد حرفة الإنسان العاجز الفاشل الذي لا يريد للآخرين سعادة حتى يكونوا فاشلين في الحياة مثله، ولو بذل هذا الجد ـ الذي يبذله في الوقيعة بين الناس ـ لغرض إصلاح نفسه بالكسب الشريف لحالفه النجاح في الحياة كما حالف غيره؛ فإن الإنسان مرهون بكسبه وعمله.

قال تعالى: ﴿للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن وأسألوا الله من فضله﴾.(١)

وإذا تصفّحنا التاريخ نجد الانحرافات تنبع من الحسد، وبدافع الحسد يقترف الإنسان الجرائم ويتلوّث بدماء الأبرياء ولا يتورّع من المنكرات، إنّ حسد إبليس لآدم عليه السلام على رتبته حمله على عيبه قائلاً: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.(٢)

فترك السجود مخالفاً لأمر الله حسداً، والحسد هو الذي دفع قابيل لأنّ يقتل أخاه هابيل ظلماً وعدواناً، وإلى ذلك يشير الرسول صلى الله عليه وآله في قوله: «كاد الحسد أن يغلب القدر».(٣) وذلك أنّ الحسود يحاول كل جهده الاطاحة بالمحسود وحتى لو كان على ضرر نفسه، فيبذل المال ويصرف الوقت والنفس، والله سبحانه يأمرنا بالاستعاذة من شرّ الحسود بقوله: ﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق و من شر غاسق اذا وقب و من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد﴾ونعم ما قيل: «الحسد جرح لا يبرأ». و«كل حاسد عدّو نفسه وصديق عدوّه».

وفي الحديث: «المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط».(٤)

ذلك أن الغبطة طلب النعمة لنفسه مثل الذي للآخرين، والحسد طلب زوال النعمة من الآخرين وثبوتها لنفسه، كما كان شأن الكفار الذين تبيّن لهم الحقّ، قال تعالى:﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد أيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن

---

(١) النساء: ٣٢.
(٢) الأعراف: ١٢.
(٣) بحار الانوار ٧٢: ٣٤.
(٤) الكافي ٢: ٣٠٧، ح ٧.

لهم الحقّ﴾[١]

وقد سمّى الحسد الغلّ كما في قوله تعالى: ﴿والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربّنا اغفرلنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوف رحيم﴾[٢]

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «أقل الناس لذّة الحسود».[٣]

٢ ـ الرسول ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».[٤]

٣ ـ الرسول ﷺ: «ألا إنّه قد دبّ إليكم داءُ الأمم من قبلكم، وهو الحسد، ليس بحالق الشعر لكنّه حالق الدين».[٥]

٤ ـ الامام علي عليه السلام: «صحة الجسد من قلّة الحسد».[٦]

٥ ـ الامام علي عليه السلام: «العجب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد».[٧]

٦ ـ الامام علي عليه السلام: «لله درّ الحسد حيث بدأ بصاحبه فقتله».[٨]

٧ ـ الامام الصادق عليه السلام: «الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود».[٩]

٨ ـ الامام الصادق عليه السلام: «الحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبدا».[١٠]

٩ ـ الامام الصادق عليه السلام: «لا يطمعنّ الحسود في راحة القلب».[١١]

---

(١) البقرة: ١٠٩.
(٢) الحشر: ١٠.
(٣) من لايحضره الفقيه ٤: ٢٩٥.
(٤) كنز الفوائد: ٥٧.
(٥) الوسائل ١٥: ت ٣٦٨، ح ٢٠٧٦٨.
(٦) الوسائل ١٥: ٣٦٨، ح ٢٠٧٦٧.
(٧) نهج البلاغة ٤: ٥٠، الحكمة ٢٢٥.
(٨) بحار الانوار ٧٣: ٢٤١.
(٩) بحار الانوار ٧٣: ٢٥٥، ح ٣.
(١٠) مستدرک الوسائل ١٢: ١٨، ح ١٣٣٩٠.
(١١) الخصال: ٤٣٤.

علاج الحسد:

قيل: إن هذا المرض الاجتماعي الخطير لاعلاج له ؛ لأن الحسد فعل غير اختياري للنفس، وهو لايكون مقدوراً للإنسان، ولكن هذا غير صحيح ؛ لأن إبقاء النفس على صفة الحسد حالة اختيارية؛ إذ من الضروريات أنّ كل إنسان يتمكّن من تهذيب نفسه وسوقها إلى الصلاح أوالفساد، قال تعالى:﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾.(١)

نعم هناك عوامل مترسّبة في طبيعة الإنسان بحيث تصبح عادة متأصّلة وطبيعية ثانويّة، ولكن إرادة الإنسان فوق ذلك فيمكنه تغييرها مع طول الزمن، ولوتأمل الإنسان سوء العاقبة التي يحصل بسبب هذا المرض الاجتماعي لامتنع عنه من يومه، قال بعض الحكماء: «يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود: أو لاها: غمّ لاينقطع، الثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، الثالثة: مذمّة لايحمد عليها. الرابعة: سخط الرب، الخامسة: يغلق عنه باب التوفيق، ولنعم ماقيل:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

فالعلاج الوحيد للحسد هو التركيز على أداء الواجبات وترك المحرّمات والاشتغال بشؤون نفسه عن عيوب غيره، وأن يجعل كلام الرسول ﷺ نصب عينه: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه». وأن يعمل بجّده وجهده للوصول إلى الأهداف الإنسانيّة في الحياة ؛ فإن الحسد لاينفعه يل يضرّه في مقاصده، قال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتّقوا لايضرّكم كيدهم شيئاً إنّ الله بما يعملون محيط﴾(٢)

ولنعم ماقيل:

لا تشتغل بالعيب يوماً للردى فيضيع وقتك والزمان قصير

---

(١) الإنسان: ٣.

(٢) آل عمران: ١٢٠.

السخرية والمسؤولية

قال تعالى:﴿يا أيّها الذين آمنوا لايسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ منهنَّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأُولئك هم الظالمون﴾[1]

من الأدب الإسلامي ألاّ يسخر إنسان من آخر مثله، فقد يكون ذاك أجلّ قدراً وأشرف، طاهر الضمير محبّ للخير، داعية إلى الصلاح وإن لم ينبىء ظاهره عن ذلك.

و السخرية هذه الصفة الخبيثة تتولّد من عدم الشعور بالمسؤولية، وقد تتولّد من الحسد فيحاول الحسود أن ينقص من قيمة الإنسان المتقدّم في حياته، وأيسر ما يكون هو التركيز على نقاط الضعف التي فيه، وقد يكون في نفسه أكثر منها، ولو كان إنساناً شريفاً لَعمِلَ على مقتضى شرفه وسعى في إسعاد الآخرين بدل السخرية منهم .والسخرية هي الاستهزاء والاستهانة بكرامة الإنسان بأية طريقة أُفهمت، وركّز الإسلام على المسؤولية إيجابياً بالتحبيذ بالمعروف والدعوة إليه، وسلبياً بالانتهاء عن المنكر والنهي عنه .

ويشدّد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتبارهما التزاماً بالمسؤولية في الحياة، فالمسؤولية ترافق الفرد المسلم حياته ويعتبر مسؤولاً أمام خالقه وأمام ضميره وأمام مجتمعه، قال تعالى:﴿إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[2]، وقال تعالى:﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلُهم بما كانوا يعملون﴾.[3]

---

(١) الحجرات :١١.
(٢) الإسراء :٣٦.
(٣) النور :٢٤.

ومسؤولية الإنسان أمام ربّه، هي الالتزام بالشريعة من عبادات وأخلاقيات ومعاملات؛ لأن أداء حق الله إنما هوإقرار بفضله علينا وشكر لنعمه التي لاتحصى.

ومسؤولية الإنسان أمام ضميره: بالمحافظة على حسن السلوك وتطهير ذاته من الصفات الرذيلة مثل التكبّر ونيّة الشرّ والسخرية:

ومسؤولية الإنسان أمام مجتمعه: بتقديم الخير إلى المجتمع ودفع الشرور عن الوطن والمجتمع، وذلك إنما يكون في مرحلتين: أولاً: صنع المعروف، وثانياً: الدعوة إليه. وعلى العكس المنكر، وقد وجّه الإسلام توجيهات راقية للمرحلتين، وهما:

أولاً :صنع المعروف،، فقد قال الرسول ﷺ: «استتمام المعروف أفضل من ابتدائه».(١)

وقال الرسول ﷺ: «من سألكم بالله فأعطوه ومن أتاكم معروفاً فكافئوه»(٢)

وعن الحسن عليه السلام: «المعروف ما لم يتقدّمه مطل ولم يعقبه منّ، والبخل أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً».(٣)

وعن الباقر عليه السلام: «إن الله عزّوجلّ جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبّب إليهم المعروف وحبّب إليهم فعاله، وأوجب على طلاّب المعروف الطلب إليهم ويسّرَ عليهم قضاءه كما يسّر الغيث إلى الأرض المجدبة ليحييها ويحيي أهلها».(٤)

وعن الباقر عليه السلام أيضاً:«صنائع لمعروف تقي مصارع السوء، وكلّ معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة، وأول أهل الجنة دخولاً إلى الجنة أهل المعروف».(٥)

وعن الصادق عليه السلام: «إنّما يؤمر بالمعروف وينهي عن المنكر مؤمنٌ فيتّعظ، أو جاهل

---

(١) مستدرك الوسائل ٧: ٣٩، ح ٨١٣٣.
(٢) الوسائل ١٦: ٣٠٧، ح ٢١٦.
(٣) مستدرك الوسائل ٧: ٢٣٨، ح ٨١٣٠.
(٤) الزهد: ٣٢.
(٥) الوسائل ١٦: ٢٨٨، ح ١٥٦٦.

فيتعلّم...».[١]

وعن الصادق عليه السلام أيضاً:«إذا أردت أن تعلم أشقّي الرجل أم سعيد فانظر سيبه ومعروفه إلى مَن يصنعه، فإن كان يصنعه إلى من هوأهله فاعلم أنه إلى خير، وإن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنه ليس له عند الله خير».[٢]

وعن الرضا عليه السلام: «اصطنع المعروف إلى أهله وإلى غير أهله، فان كان اهله فهو اهله، و إن لم يكن أهله فأنت أهله».[٣]

وفي الحديث: «لا يتمّ المعروف الّا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجّلته هنّأته، وإذا صغّرته عظّمته، وإذا سترته تمّمته».[٤]

ثانياً: الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر، ولهما مراحل ثلاث:

١ـ بالوعي، وذلك بتنوير الفكر.

٢ـ بالقول، وذلك بالوعظ والإرشاد.

٣ـ بالفعل، وذلك بالمقاومة السلبية.

ففي الحديث:«من رأى منكراً فليغيّره بيده ،فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».[٥]

ولكل واحد منها مراتب شديدة وخفيفة، والمشهور الترتيب فيها، ولا يأتي بالأشد الّا بعد إتمام الحجة بالمرتبة الخفيفة، ويسبق مراتب الأفكار كلّها: العمل قبل الدعوة إلى المعروف، فإن الدعوة لاتأتي ثمارها الّا بعد أن يكون الداعي عاملاً.

و يؤكّد الإسلام على أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية في عتق كل فرد مسلم «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته»[٦] طبعاً ضمن شروط، أهمّها:

---

(١) الكافي ٥: ٦٠.
(٢) الكافي ٤: ٣١، ح ١.
(٣) عيون اخبار الرضا عليه السلام ١: ٧٤، ح ٣١٧.
(٤) خصائص الائمة: ١٠٠.
(٥) عوالي اللالي ١: ٤٣١، ح ١٢٨ و ١٢٩.
(٦) كشف المحجة لثمرة المهجة: ٣٩.

أولاً: العلم بالمعروف والمنكر.

ثانياً: احتمال التأثير.

ثالثاً: أن لاتترتب مفسدة أهم.

ووجوب هذا الواجب على كلّ فرد لاينافي وجود جماعة خاصة تؤدي نفس الدور كما هو الحال بالنسبة إلى الشرطة، وقد طبّق الحكم الإسلامي نظام (الحسبة) في تاريخ طويل.

ومن المؤسف حقاً أنّ هذا الواجب العظيم قد أُهمل وعُطّل حتى عمّت المنكرات من دون رادع، واستهين بالمحرمات من دون وازع، ولا يحل محل الخوف من الله خوف أية سلطة أو نظام؛ لذلك نجد بالرغم من قوّة الشرطة ونظامها كثرة الفحشاء و الاجرام، فكان من الطبيعي أن يَسودهما الأحقاد والأطماع والفساد، فقد قال تعالى: ﴿إنّ الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّر واما بأنفسهم﴾[1]

وفي الحديث: «إن بالأمر بالمعروف يقام الفرائض، وتأمن المذاهب وتحلّ المكاسب، وتمنع المظالم، وتعمر الأرض وينصف للمظلوم من الظالم، ولا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء».[2]

وهكذا نجد الإسلام يعتبر المسؤولية فريضة اجتماعية على كلّ قادر على التوجيه حتى يهتدي المجتمع ويتخلّق بالعفّة والنظام.

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) الوسائل ١٦: ٣، ح ١١٤٤.

الصبر

قال تعالى: ﴿وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربّهم و رحمة وأولئك هم المهتدو ن﴾.[1]

الصبر في الحياة طريق النصر وعلامة الفلاح، ومقرون بالنجاح في مختلف شؤون الحياة من العلم والصناعة والتجارة، ولولا صبر هؤلاء على تحمّل المصائب التي تقتضيها طبيعة العمل لما وصلوا إلى هدفهم السامي في الحياة.

قال تعالى: ﴿ولنجزيّن الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾.[2]

وقال تعالى:﴿واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور﴾.[3]

والإنسان لو لم يتحلّ بالصبر لوجب أن ينهار في حياته بسبب الكوارث والمصائب ولوجب أن يشقى في هذه الحياة، وفي الحديث عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام:«من لا يعد الصبر لنوائب الدهر يعجز».[4]

وقد حدد رسول الله صلى الله عليه وآله منزلة الصبر في الإسلام في كلمة جامعة، فقال صلى الله عليه وآله: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»[5] فعليه فلا إيمان لمن لاصبر له. وقد كرّر القرآن الصبر في أكثر من سبعين مورداً، والصبر إنما هو الثبات والاحتمال، قال نصير الدين الطوسي: «الصبر: حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن من الاضطراب، واللسان عن الشكاية، والإعضاء عن الحركات غير المعتادة».[6]

---

(١) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.
(٢) النحل :٩٦.
(٣) لقمان :١٧.
(٤) الكافي ٢: ٩٣، ح ٤.
(٥) معاني الاخبار: ٣٦١.
(٦) انظر بحار الانوار ٦٨: ٦٨.

فالصبر إذاً مقاومة هوى النفس وليس الاستسلام للمصيبة، فإنه ضعف وجبن، فلا يجوز الصبر على الجهل، لأنّه مرض اجتماعي، وبالنتيجة مصيبة اجتماعية ،بل يجب الكفاح بالتعلّيم، ولا يجوز الصبر على الظلم كذلك، بل يجب مكافحته، فالصبر هو التدرع لمكافحة الشرّ بأي وجه كان.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال: «يا جبرئيل فما تفسير الصبر؟ قال: تصبر في الضّراء كما تصبر في السّراء، وفي الفاقة كما تصبر في الغنى، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حالهُ عند المخلوق بما تصيبه من البلاء».[١]

فالصبر إذاً ليس الاستسلام واليأس، بل هو قوّة احتمالٍ أمام الحوادث فيكون الصابر بحيث لا يمكن أن تحطّمه المغريات الماديّة مهما عظمت، فالصبر قوّة وصلابة ضد مفاتن الدنيا، فبالصبر تقوى الارادة الإنسانية وتحصل الطمأنينة والوقاية من القلق النفسي والاضطراب والخوف والهلع، وما أحوجنا إلى ذلك في الحياة.

وطبيعي أن يكون للصبر درجات إذا تمسك بها الإنسان كاملة كان صورة حيّة للإنسان السعيد في حياته الشخصية والاجتماعية.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «الصّبر نصف الإيمان».[٢]

٢ ـ الرسول ﷺ: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية».[٣]

٣ ـ الرسول ﷺ: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له، ولا في إيمان لا صبر معه».[٤]

---

(١) معاني الاخبار: ٣٦١.
(٢) مستدرك الوسائل: ٤٢٥، ح ٣٥٩.
(٣) الكافي ٢: ٩١، ح ١٥.
(٤) نهج البلاغة ٤: ١٨، الحكمة ٨٢.

٤ ـ الامام علي عليه السلام: «ثلاث بهن يكمل المسلم: التفقّه في الدين، والتقدير في المعيشة، والصبر على النوائب».[١]

٥ ـ الامام علي عليه السلام: «الصبر شجاعة والعجز آفة».[٢]

٦ ـ الامام علي عليه السلام: «الصبر يرغم الأعداء».[٣]

٧ ـ وقال عليه السلام: «بالصبر تدرك معالي الأمور».[٤]

٨ ـ الامام علي عليه السلام: «لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان».[٥]

٩ ـ الامام علي عليه السلام: «من ركب مركب الصبر اهتدى إلى ميدان النصر».[٦]

١٠ ـ الباقر عليه السلام: «الصبر الجميل صبر ليس فيه شكوى إلى الناس».[٧]

١١ ـ الباقر عليه السلام: «مروّة الصبر في حال الحاجة والفاقة والتعفّف والغنى أكثر من مروّة الإعطاء».[٨]

١٢ ـ الصادق عليه السلام: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كره، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحبّ أو كره الّا كان خيراً له».[٩]

١٣ ـ الصادق عليه السلام: «كم من صبر ساعة قد أورثت فرحاً طويلاً، وكم من لذة ساعة أورثت حزناً طويلاً».[١٠]

١٤ ـ الصادق عليه السلام: «قد عجز من لم يعدّ لكل بلاء صبراً، ولكل نعمة شكراً ولكلّ عسر يسراً».[١١]

١٥ ـ الصادق عليه السلام: «عليك بالصبر في جميع أُمورك، فإنّ الله بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فأمره

---

(١) الخصال: ١٢٤، ح ١٢٠.
(٢) روضة الواعظين: ٤٢٢.
(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤.
(٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٨٨.
(٥) نهج البلاغة ٤: ٤٠، الحكمة ١٥٣.
(٦) بحار الانوار ٧١: ٩٦، ح ٦١.
(٧) الكافي ٣: ٩٣، ح ٣.
(٨) الكافي ٢: ٩٣، ح ٢.
(٩) الكافي ٢: ٦٠، ح ١.
(١٠) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩٣، ح ١٢٩٤٢.
(١١) التمحيص: ٦٠، ح ١٢٧.

بالصبر والرفق. فقال تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾».[١]

١٦ـ الصادق عليه السلام: «الصبر يعقب خيراً فاصبروا تظفروا، وواظبوا على الصبر تؤجروا».[٢]

١٧ ـ الكاظم عليه السلام: «الصبر عند البلاء أفضل من الغفلة عند الرّخاء».[٣]

والجزع: على العكس من صفات الصبر، قال صلى الله عليه وآله: «الجزع عند البلاء تمام المحنة».[٤] وقال الإمام علي عليه السلام: «من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع».[٥]

وقال عليه السلام: «المصيبة واحدة،وإن جزعت كانت اثنتين».[٦]

وقال الصادق عليه السلام: «الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم عن الظلمة والوحشة».[٧]

ويكفي الجازع عظة، التفكّر فيما للصبر من المدح وللجزع من الذّم في الدنيا والآخرة، فقد بشّر الله الصابرين أموراً ثلاثة، هي: الصلوات من الله والرحمة والهداية[٨]. وما أعظمها من فضائل؟ ومن الثابت أن المصائب الدنيوية قصيرة.

وما من إنسان الّا ويعتريه أمثالها، وهناك من هو مبتلى بأشد منها، فالشهامة أن يكون الإنسان أرسخ وأثبت من هزّ العواطف،

ونعم مافي ديوان الإمام عليه السلام:

إني وجدت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقلّ من جد في أمرٍ يطالبه ... فاستصحب الصبر الّا فاز بالظفر

---

(١) الكافي ٢: ٨٨، والآية من سورة المزمل: ١٠.

(٢) الكافي ٢: ٨٩، ح ٦. (٣) التمحيص: ٥.

(٤) مطلوب كل طالب: ٨، شرح مئة كلمة: ١٤٣.

(٥) نهج البلاغة ٤: ٤٣،الحكمة ١٨٩. (٦) عيون الحكم والمواعظ :٢٦.

(٧) الوسائل ٢: ٤٢٧، ح ٣٦٩. (٨) كما ورد في سورة البقرة :١٥٥.

الشكر والكفران

قال تعالى:﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾[1]

الإسلام يطالب الإنسان أن ينظر إلى الحياة على حقيقتها ولا يلهيه الحاضر عن السمتقبل، ولا تخدعه المظاهر الخلاَّبة، ولا تغرّهُ الزينة الظاهرة، ذلك أنه لا يعيش في الدنيا حيواناً همّه علفه، يغرق في الشهوات والملذات، فنعم الدنيا التي لاتحصى مما تفضّل بها الله علينا ولا ينبغي أن نقصر أنفسنا على الانتفاع منها وإهمال ما زاد عن حاجتنا كالبهائم والحيوانات التي تستغني عما زاد على مأكلها، بل إنّ للإنسان أهداف عليا تمنعه عن الإسراف والكفران، وتوجب عليه الشكر والعرفان، وأن يلتزم حين استمتاعه بنعم الحياة بالاعتدال فلا يظلم نفسه بتناول المحرّمات، ولا يخرج إلى حد الإسراف، ولا يصل إلى حد التقتير، بل يكون وسطاً بين ذلك. قال تعالى:﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾.[3]

والحد الوسط هو عرفان النعمة والشكر عليها، والشكر تارة يكون بالعبادة كما في (سجدة الشكر) والتلفظ بالشكر، وقد قالت عائشة للرسول ﷺ: «لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال ﷺ: يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً».[4]

وقد يكون بالعمل بالتقدير وعدم الإسراف واعطاء الحقوق الشرعية وإكرام الفقراء

---

(١) ابراهيم: ٧.
(٢) الأعراف: ٣١.
(٣) الإسراء: ٢٩.
(٤) الكافي ٢: ٩٥، ح ٦.

والمساكين مما فيه خير الدنيا وثواب الآخرة. ويؤكّد القرآن الكريم على أن فائدة الشكر ترجع إلى نفس الشاكر وذلك بحصول اطمئنان القلب وسكون النفس، فقد قال تعالى: ﴿ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ الله غنيٌّ كريم﴾.(١)

وعن حدّ الشكر يقول الرسول ﷺ: «خصلتان من كانتا فيه كان عندالله شاكراً صابراً: من نظر في دينه إلى من فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فشكر الله، فإن نظر في دنياه إلى من فوقه فأسف على ما فاته لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً» وقال الصادق عليه السلام في حدّه: «يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان فيما أنعم الله عليه في ماله حق أدّاه».(٢)

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول ﷺ: «أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدّلها إلى حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر».(٣)

٢ ـ الامام علي عليه السلام: «ما كان الله سبحانه ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب المزيد».(٤)

٣ ـ السّجاد عليه السلام: «إن الله يحبّ كلّ عبد شكور».(٥)

٤ ـ السّجاد عليه السلام: «أشكركم لله أشكركم للناس».(٦)

٥ ـ الباقر عليه السلام: «لا ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العباد».(٧)

٦ ـ الصادق عليه السلام: «شكر النعمة إجتناب المحارم، وتمام الشكر قول: الحمد لله رب

---

(١) النمل: ٤٠.
(٢) الكافي ٢: ٩٦، ح ١٢.
(٣) الكافي ٢: ١٠٧، ح ٧.
(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٢.
(٥) الكافي ٢: ٩٩، ح ٣٠.
(٦) الوسائل ١٦: ٣١٠، ح ٦، ١٦.
(٧) تحف العقول: ٤٥٧.

العالمين».[١]

٧ ـ الصادق عليه السلام: «من احتمل الجفاء لم يشكر النعمة».[٢]

٨ ـ الصادق عليه السلام: «طوبىٰ لمن لم يبدل نعمة الله كفراً».[٣]

٩ ـ الصادق عليه السلام: «اشكر من أنعم عليك، وانعم على من شكر؛ فإنّه لازوال للنعماء إذا شُكرت، ولا بقاء إذا كُفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغِيَر».[٤]

١٠ ـ الصادق عليه السلام: «إنّ الله عزّوجلّ أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً».[٥]

١١ ـ الكاظم عليه السلام: «من حمدالله على النعمة فقد شكره، وكان الحمد أفضل من تلك النعمة».[٦]

١٢ ـ الرضا عليه السلام: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ».[٧]

١٣ ـ الجواد عليه السلام: «نعمة لاتشكر كسيئة لاتغفر».[٨]

وحيث أنه ﴿ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾[٩] فبتفاوت السعي تتفاوت درجات النعمة، وتتفاوت أيضاً درجات الشكر، كنعمة الحياة التي وهبها الله للبشر كافة من فقير وغني وسلطان، وكنعمة الهواء والماء والعقل والإرادة والسلامة، فإنها نعم دائمة للبشر ولو اختلّ شيء منها لاختلّت الحياة.

---

(١) الكافي ٢: ٩٥، ح ١.
(٢) الخصال: ١١، ح ٣٧.
(٣) مستدرك الوسائل ١٢: ٣٥٢، ح ١٣٢٣٥.
(٤) الكافي ٢: ٩٤، ح ٣.
(٥) أمالي الصدوق: ٣٧٩، ح ٤٧٩.
(٦) مستدرك الوسائل ٥: ٣١٢، ح ٥٩٥٣.
(٧) عيون اجبار الرضا عليه السلام ١: ٣٧، ح ٢.
(٨) عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧.
(٩) النجم: ٣٩.

القنوط والأمل

قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إنّ يغفر الذنوب جميعاً إنّه هوالغفور الرحيم﴾.[1]

الإسلام يهتم بتطهير النفس البشرية عن جميع الخواطر والأخلاق النفسية الذميمة، ومنها: اليأس من رحمة الله، كما يرشد الىٰ العمل والمثابرة وعدم العيش بالاتكال، فهما صفتان متقابلان يحارب الإسلام كلاّ منهما بالاستقلال، فهوإذ يقول: ﴿ولاتيأسئوا من روح الله انه لايـيأس من روح الله الّا القوم الكافرون﴾[2] يقول أيضاً: ﴿وإيّاي فارهبون﴾.[3]

بل يسعى الإسلام بتشريعاته وتوصياته تربية الإنسان على حالة متوسطة بينهما: بين الخوف والرجاء﴾.

والرجاء: يعني الاتكال على رحمة الله. والخوف: يعني اليأس عن رحمة الله، و لاشكّ أن الله هو ﴿الرحمن الرّحيم﴾، و ﴿وسعت رحمته كل شيء﴾ لكنه «أرحم الرّاحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة».

فالحالتان ممقوتتان في نظر الإسلام والحالة الوسطى بين الحالتين هي ما توجبه التربية الإنسانية، فإن الله سبحانه مع الاتكال على رحمته يفرض واجبات يجب على الكل أدائها، في حين أنه لايفتقر إلى شيء منها، وفرض على من أخل بها العقوبات.

وكذلك منع اليأس من رحمته وفتح (باب التوبة) على مصراعيه لكل من أراد

---

(١) الزمر: ٥٣.
(٢) يوسف ٨٧.
(٣) البقرة: ٤٠.

الاستقامة في الحياة ،لئلاّ يحصل اليأس إذا حصلت له زلّة وكثيراً مّا تعرض ،فإن الإنسان إذا نظر إلى ذنوبه فزع، وكاد أن تؤدي به إلى اليأس، وإذا نظر إلى رحمة الله طمع وكاد أن يؤدي به الىٰ الرجاء، ولكن الله تعالى فرض علينا واجبات والتزامات وجعل لمن انحرف بسبب من الأسباب طريق العودة بالتوبة والمغفرة.

وامّا الرضا بالقضاء، فهوقناعة الإنسان بأنّ ما يحدث من دون إرادته من الحوادث خيراً كان أوشراً هو واقع لامحالة، فلا يفرح إن كان خيراً ولا يجزع إن كان شّراً، قال تعالى:﴿ومن يقنط من رحمة ربّه الّا الضالون﴾.(١)

لانّ رحمة الله عمّت الكون، وقد جاءت مادة الرحمة صفة لله في آيات كثيرة نحو أكثر من ثلاثمائة آية في القرآن الكريم، كما وصف الله رحمته بالسعة والشمول التي شملت كل شيء في قوله تعالى:﴿ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾.(٢)

فالثقة بالله تعالى لاتجتمع مع القنوط، وإنّما مع الخوف من عقاب الله تعالى.

والخوف:

ليس الخوف من الله خوف الجبان، ولكنه خوف المحب المطيع الذي يحس وهو في حرية تامة سلطة الله الرحيم وسلطة العطف والحنان والمحبة، فهو شعور براحة النفس وإيمان بسكون القلب. وقد جاء التأكيد عليه في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة كالخشية والرهبة والوجل، وقد يفرق بينهما بفروق جزئية كالهرب من المكروه والفزع واستشعار الخوف النابع من الإيمان بالعقاب العادل والرحمة الواسعة كما قال تعالى:﴿وبشّر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة

---

(١) الحجر: ٥٦. (٢) الأعراف :١٥٦.

وممّا رزقنا هم ينفقون﴾.[١]

فقد ذكر سبحانه أربعة أوصاف متلازمة:

١ ـ الوجل عند ذكر الله.

٢ ـ الصبر عند المصيبة.

٣ ـ إقامة الصلاة.

٤ ـ الانفاق ممّا رزق الله.

فالخوف من الله هو الخوف من الرحيم العادل، وهويلازم الصفات المذكورة والتي تجمعها العبادة الروحية كالصلاة، والعبادة المادية كالانفاق.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «والذي لا إله الّا هو ما أعطى مؤمن قط خير الدنيا والآخرة الّا بحسن ظنه بالله ورجائه له،حسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين».[٢]

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «يبعث الله المقنطين يوم القيامة مغلّسة وجوهم يعنى قد على السواد على البياضهم فيقال لهم: هؤلاء المقنّطون من رحمة الله».[٣]

٣ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «إن حسن الظن بالله من حسن العبادة»[٤].

٤ ـ الامام علي عليه السلام:«خف الله خوفاًترى انك إن أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبّلها».[٥]

٥ ـ الامام علي عليه السلام: «لا تأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله: ﴿ فلا يأمن مكر الله الّا القوم الخاسرون ﴾.[٦]

---

(١) الحج: ٣٥.

(٢) الكافي ٢: ٧٢،

(٣) الامامة والتبصرة: ١٧٦.

(٤) مستدرک الوسائل ١١: ٢٥٢، ح ١٢٩٠٨.

(٥) امالي الصدوق: ٧٦٦، ح ١٣١.

(٦) نهج البلاغة ٤: ٩٠، الحكمة ٣٧٧.

٦ ـ الحسن عليه السلام: «أنا الضامن لمن لم يهجس قلبه الّا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له».[١]

٧ ـ السجاد عليه السلام: «يأسك من رحمة الله أشد خوفاً منى عليك مما أتيت».[٢]

٨ ـ الصادق عليه السلام: «أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله».[٣]

٩ ـ الصادق عليه السلام: «خف الله كأنّك تراه، فإن كنت لاتراه فإنّه يراك، وإن كنت لاتدري أنه يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته أهون الناظرين إليك».[٤]

١٠ ـ الصادق عليه السلام: «لايكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولايكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لمايخاف ويرجو».[٥]

١١ ـ الصادق عليه السلام: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كره، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره الّا كان خيراً له فيما أحب أو كره».[٦]

وهكذا يكون المسلم يرجو ويخاف، يرجو رجاء لايؤدّي به إلى التهرب من المسؤولية، ويخاف خوفاً لايؤدّي به إلى الانتحار؛ لأنّ كلاً من الخوف والرجاء بالاستقلال يتولد من عدم الثقة بقدرة الله التي وسعت رحمته كل شيء.

---

(١) الكافي ٢: ٦، ح ١١.
(٢) الكافي ٧: ٩٦، ح ٣.
(٣) فقه الرضا عليه السلام: ٣٥٩.
(٤) فقه الرضا عليه السلام: ٣٨٢.
(٥) الكافي ٢: ٦٠، ح ١.
(٦) الكافي ٢: ٧١، ح ١١.

التوبة والاستغفار

قال تعالى:﴿ألم يعلموا أن الله هويقبل التوبة عن عباده ويأخذ والصدقات وأنّ الله هوالتّواب الرحيم﴾.[1]

وقال تعالى: ﴿ان الله يحب التوابين ويحبّ المتطهرين﴾.[2]

التوبة هي تطهير الضمير الإنساني والعودة إلى طريق الصلاح بعد الانزلاق، وإصلاح الخطأ بعد الانحراف، وليست في التوبة أية قيود زمنيّة أو ماديّة، بل هي صلة مباشرة بين العبد وخالقه بالندم على ما مضى من الذنوب الكبائر والصغائر والامتناع عنها في المستقبل، قال تعالى: ﴿يا أيّها الَّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نَصوحاً﴾[3]

وأما الكبائر فقد جاءذكرها في القرآن الكريم مرّتان، قال تعالى:﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم وندخلكم مُدخلاً كريماً﴾.[4]

وقال تعالى:﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الّا اللّمم﴾[5]

واختلف العلماء والمفسرون في مفهوم الكبائر على أقوال، ولعل أوفقها: أنّ الكبائر هي الذنوب التي توعّد الله عليها العقوبة الشديدة كالسرقة.

والفواحش: هي نوع من الكبائر التي تعتبر فاحشة كالزنا.

واللمم: الذنوب الصغيرة التي لم يذكر القرآن عليها عقوبة شديدة كالنظر إلى الأجنبية بريبة.

والله سبحانه فتح باب التوبة على مصراعيه أمام العصاة والمذنبين ليصلح نفسه بنفسه

---

(١) التوبة :١٠٤.
(٢) البقرة: ٢٢٢.
(٣) التحريم :٨.
(٤) النساء :٣١.
(٥) النجم :٣٢.

كلّ من أراد لنفسه الخير والسعادة والصلاح من دون وساطة أي إنسان مهما كان تقيّاً.

فالذنب حجاب بين العبد وربّه، ولا يرتفع هذا الحجاب الّا أن تحرقه نار الندم والحسرة من قلب التائب ليعقبه نور العفو والرحمة من الله، وليس هناك ذنب أو خطأ لاتشمله التوبة إلاّ الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.(١)

ومهما بلغ عظم الذنب فإن الله يغفره إذا كان العبد صادقاً في توبته، والتعليق على المشيّة أمر ثابت، فكما أن الله لن يغفر الشرك كذلك لن يشاء قبول التوبة الّا أن تصدر التوبة عن الواقع. وهذا أمر يعمّ الكبيرة والصغيرة على حدّ سواء ويظهر اهتمام القرآن بالتوبة إنها ذكرت في القرآن الكريم أكثر من ثمانين موضعاً.

والتوبة معناها الندم على المعصية والرجوع عنها بالاستغفار، إذ الاستغفار يستلزم التوبة حقيقة، وهي ـ بعد تحقّق شروطها ـ تستلزم من الله القبول والغفران كما قال تعالى:﴿وأن استغفروا ربكم ثمّ توبوا إليه﴾.(٢)

وقال تعالى:﴿استغفروا ربّكم إنّه كان غفّاراً﴾.(٣)

وفي الصحيفة السجادية المناجاة الأولى: «إلهي إن كان الندم من الذنوب توبة إليك فإنّي أندم النادمين، وإن يكن الاستغفار حطّة للذنوب فإني لك من المستغفرين».(٤)

وذكر القرآن الكريم على أن المذنب يظلم نفسه بارتكاب المعصية، وبالنتيجة يكون التائب مصلحاً لنفسه ومنقذاً لها من الهلكة.

قال تعالى:﴿ومن يعمل سوء أويظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾.(٥)

وقال تعالى:﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾.(٦)

---

(١) النساء: ٤٨.
(٢) هود: ٣.
(٣) نوح: ١٠.
(٤) الصحيفة السجادية: الدعاء الاول.
(٥) النساء: ١١٠.
(٦) المائدة: ٣٩.

وقال تعالى:﴿إنّ ربّك للذين عملوا السوء بجهالة ثمّ تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم﴾.(١)

وطبيعّي أن تختلف التوبة باختلاف المعاصي، فبالنسبة إلى حق الله تعتبر التوبة الندم من فعل القبيح كشرب الخمر، وبالنسبة إلى حق النفس العلم والعمل وحفظ الصحة، قال تعالى:﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾.(٢) ولا فرق في الهلاك بين الجهل والبطالة والمرض.

وبالنسبة إلى حقّ الغير (التربية) للأولاد و(حسن السيرة) للأهل، وأداء الحقوق كالدين للمستحقين، ودفع الصدقات كالزكاة للفقراء والمساكين، وأداء الواجب بالنسبة إلى النفس والمجتمع والوطن، وقد جمعها كلام الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: «الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه، وهوأوّل درجة الصابرين وترك الذنب، والاستغفار اسم واقع لمعان ستة :

أولّها: الندم على ما مضى .

والثاني:العزم على ترك العود أبداً .

والثالث: أن تؤدّي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم .

والرابع:أن تؤدّي حقّ الله في كلّ فرض.

والخامس: أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثمّ ينشأ فيما بينهما لحماً جديداً .

والسادس: أن تذيق البدن ألم الطاعات كما أذقته لذّات المعاصي».(٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله :«إذا تاب العبد ولم يرض الخصماء فليس بتائب.

ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب.

ومن تاب ولم يغّير لباسه فليس بتائب.

---

(١) النحل :١١٩. (٢) البقرة :١٩٥.

(٣) تحف العقول: ١٩٧، وانظر نهج البلاغة ٤ :٩٧، الحكمة ٤١٧.

ومن تاب ولم يغيّر رفقاءهُ فليس بتائب.

ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسع كفه فليس بتائب.

ومن تاب ولم يقصر أمله ولم يحفظ لسانه فليس بتائب.

ومن تاب ولم يقدّم فضل قوته من بدنه فليس بتائب.

وإذا استقام على هذه الخصال فذلك التائب»(١)

ورويت أحاديث كثيرة تفيد أن السّيئة تؤجل فيها إلى مقدار من الزمان على أمل أن يعود المذنب إلى رشده، قال رسول ا لله ﷺ: «يهمّ العبد بالسيئة أن يعملها، فإن هولم يعملها لم يكتب عليه شيء، وإن هوعملها أُجّل سبع ساعات».(٢)

وخاصة بالنسبة إلى بلوغ الأربعين، فقد ورد «أن العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزّوجلّ إلى مكليه: قد عمّرت عبدي هـذا فغلّظا وشدّدا وتحفّظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره كبيره، وينبغي لصاحب الخمسين أن يكون كمن كان في النزع».(٣)

التوبة النصوح:

هي التوبة الخالصة التي لايعاد بعدها الذنب، وقد يكون من النصح بمعنى إزالة الأدران كما يقال: «نصح الغيث البلد» فالتوبة كالمطر يغسل التائب من أدران المعاصي وآثار الذنوب، وقال الصادق عليه السلام: «رحم الله عبداً تاب إلى الله قبل الموت، فإن التوبة مطهّرة من دنس الخطيئة ومنقذ من شقاء الهلكة».(٤)

وقال الصادق عليه السلام: «توبة النصوح: أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل» ويستلزم ذلك أن لايعود إلى الذنب أبداً.

---

(١) مستدرك الوسائل ١٢: ١٣١، ح ١٣٧٠٩.

(٢) الكافي: ٤٢٠.

(٣) الخصال: ٥٤٥، ح ٣.

(٤) مستدرك الوسائل ١٢: ١٢٥، ح ١٣٦٩١.

وحيث أن التوبة ندم على المعصية فتجب التوبة ؛ فإن الندم على القبيح واجب على كل حال ومن جميع المعاصي والقبائح، قال أبو جعفر الثاني عليه السلام: «تأخير التوبة اغترار».[١]

والإصرار على الذنب أمن من مكر الله، ولا يأمن من مكر الله الّا القوم الخاسرون.[٢] لذلك لاتصح توبة المعاينة وهوعند حضور الموت كما قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السّيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾.[٣]

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «التائب حبيب الله».[٤]

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «التائب من الذنب كمن لاذنب له».[٥]

٣ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «لكلّ داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار».[٦]

٤ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «يلزم الحق لأمّتي في أربع: يحبّون التائب، ويرحمون الضعيف، ويعينون المحسن، ويستغفرون للمذنب».[٧]

٥ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «إنّ تاب قبل موته بسنة قَبِلَ الله توبته، ثم قال: إن السنة لكثيرة، من تاب قبل موته بشهر قَبِلَ الله توبته، ثم قال: إن الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قَبِلَ الله توبته، ثم قال: إن الجمعة لكثيرة، من تاب قَبْل موته بيوم قَبِل الله توبته، ثم قال: إن يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين قَبِل الله توبته».[٨]

---

(١) تحف العقول: ٤٥٦.

(٢) كماورد في سورة الاعراف، الآية ٩٩.

(٣) النساء :١٦.

(٤) لقوله تعالى:﴿ ان الله يحبّ التوابين ﴾، البقرة: ٢٢٢.

(٥) الوسائل ١٦: ٧٤، ح ١٠١٩.

(٦) ثواب الاعمال: ١٦٤.

(٧) الخصال: ٣٩، ح ٨٨.

(٨) الكافي ٢: ٤٤٠، ح ٣.

٦ ـ وكان ﷺ يستغفر كلّ يوم سبعين مرة، وكان لايقوم من مجلس ـ وإن خفّ ـ حتّى يستغفرالله خمساً وعشرين مّرة.(١)

٧ ـ وقال علي عليه السلام:«العجب ممّن يقنط ومعه المِمحاة، قبل وما المِمحاة ؟قال الاستغفار».(٢)

٨ ـ علي عليه السلام: «لا شفيع أنجح من التوبة».(٣)

٩ ـ علي عليه السلام: «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً».(٤)

١٠ ـ الباقر عليه السلام:«كفى بالندم توبة».(٥)

١١ ـ الصادق عليه السلام: «اتّقوا المحقّرات من الذنوب فإنها لاتغفر».(٦) ووورد في بيان معناه: أن يقول المذنب: طوبى لي إن لم يكن لي غير هذا الذنب.

١٢ ـ الصادق عليه السلام: «التوبة حبل الله ومدد عناية، و لابد للعبد من مداومة التوبة على كلّ حال».(٧) يقول العرفاء: كل فرقة من العباد لهم توبة، فتوبة الأنبياء من اضطراب السّر، وتوبة الأصفياء من التنفس، وتوبة الأولياء من تلوّن الخطرات، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله، وتوبة العام من الذنوب، ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره.

---

(١) الكافي ٢: ٥٠٤، ح ٤.
(٢) الوسائل ٧: ١٧٧، ح ٩٠٥٢.
(٣) من لايحضره الفقيه ٣: ٥٧٤، ح ٤٩٦٥.
(٤) الكافي ٣: ٤٥١، ح ١.
(٥) الكافي ٢: ٤٢٦، ح ١.
(٦) انظر: الكافي ٢: ٢٨٧، ح ١.
(٧) مستدرك الوسائل ١٢: ١٣١، ح ١٣٧١١.

الوعد والوعيد

الوعد هوحقّ العباد على الله بوفاء ما وعد من الثواب على الأعمال الصالحة. والوعيد: هوحق الله على العباد بتنجيز ما أوعد من العقاب على المعاصي، وكانت هذه المسألة مثار جدال عنيف في الفكر الإسلامي، قالت المعتزلة والخوارج بأن الله لابدّ أن يخلف فيهما ما وعد عليه بأن يثيب المطيع ويعاقب العاصي الذي ارتكب كبيرة ومات بلا توبة، فلا يجوز لله تعالى العفوعن المعصية؛ لأنه مقتضى الأمر والنهي.

ومذهب أهل البيت عليهم السلام: أنّ الوفاء من الله حق على الله تعالى بمقتضى الأمر والنهي ولكن يجوز لله تعالى خاصة (العفو) شأن كلّ صاحب حق، من غير إنكار للأمر ولا للنهي ،فإن لصاحب الحق إسقاط حقه لسبب من الأسباب الداعية لذلك كالشفاعة، ونعم ما قاله السري الموصلي:

إذا وعـد السّـراء أنـجز وعـده وإن أوعد الضرّاء فـالعفومانعه

وهكذا نجد الإسلام قد فتح باب التوبة ـ على مصراعيه ـ لانقاذ البشر من المـزالق والمهالك بين الإنسان وربه من دون أيّة وساطة أوشروط غير ما تقتضيه التوبة نفسها، فالتوبة طريق العودة إلى الرشد لتكوين التائب من جديد عضواً صالحاً في المجتمع.

قال تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عـن عـباده ويـعفواعـن السّـيئات ويـعلم مـا تفعلون﴾.[1]

---

(١) الشورى: ٢٥.

الجبر والاختيار والقضاء والقدر

الإنسان يمّر في حياته منذ تكوّنه إلى وفاته بمراحل كثيرة، يكون بعضها طوع إرادته وبعضَها خارجاً عن إرادته بتأثير المحيط والبيئة أوالطبيعة أوالآداب والعادات، ومن هنا نشأت أفكار متناقضة حادّة بحثتها المدارس الفكرّية المختلفة ودرسها القانون باعتبار العقوبات المفروضة على المختار وغير المختار، سواء كان تحت تأثير الطبيعة أوالجنون أوما شابه، ودرستها المدارس الفلسفية نظرياً كما درستها الأديان، لأنّها ترتبط ارتباطاً مباشراً في علاقه الإنسان بربه. والبحث فيها ـ اليوم ـ بحث قائم برأسه

يلمح إلى ما بقصده الحديث الشريف، ولابدّ قبل الدخول في البحث أن نلمّ بالمصطلحات التالية:

١ ـ الجبر: حالة اللا اختيار الحاصلة بتأثير قوّة عليا من الطبيعة أوالعادة أوغيرهما.

٢ ـ الاختيار: الحريّة الموجودة لكل انسان بالفطرة.

٣ ـ القضاء: الحالات الاستثنائية التي لايعلم بها سوى الله كالأجل والوفاة.

٤ ـ القدر: الحالات المقدّرة على حصول أسبابها الداعية إليها.

الجبر والاختيار:

توجد في الإنسان حالتان متناقضتان حالة اللا اختيار قبل الرشد في مراحل التكوين من الرضاعة فالطفولة، فليست له أية إرادة أوحرية، وبعد الرشد والتمييز تحصل له القدرة والإرادة والاختيار، وهذا التناقض بين الحالتين دعا فرقة (الأشاعرة) إلى القول بالجبر وأنّ الإنسان مسيّر في حياته بدون إرادة من نفسه، ودعا فرقة (المعتزلة) إلى القول بالاختيار وأنّ الله خلق الإنسان وفوّض إليه أمر نفسه، ولا إرادة فوق إرادته، ويبرهن كلّ

منهما على مذهبه بالأدلة، ومن الواضح الجلّي التناقض بين المذهبين لوضوح التناقض بين القول بأن الله هوالقوّة المطلقة والقول بأن الإنسان هوالقوّة المطلقة، والآيات القرآنية يستفاد منها ما يؤيد المذهبين؛ كقوله تعالى: ﴿إنّ الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾.(١)

وكذا قوله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾.(٢)

وقوله: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربّك بظلاّمٍ للعبيد﴾.(٣)

وقوله: ﴿إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً﴾.(٤)

فالنصوص القرآنية ـ مع قطع النظر عن الحديث ـ كادت تكون متكافئة في استناد المذهبين: مذهب الجبر وأنّ الإنسان مجبور كالريشة المعلقة في الهواء وتمثله الأشاعرة، ومذهب التفويض وأنّ الإنسان هوالفاعل لما يشاء وتمثله المعتزلة.

وأما مذهب الشيعة الإمامية فهو المذهب الوحيد الذي سلك طريقاً وسطاً بين القولين؛ ذلك أن الله خلق الإنسان وأكرمه بالعقل والعلم القدرة، فهو بالعقل يدرك مفاهيم الخير والحق وكذلك الشر والباطل، ثم هو بقدرته التي وهبه الله يأتي بأحدهما فإذاً: (لاجبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين ومنزلة بين المنزلتين) كما هوالمأثور عن الإمام الصادق عليه السلام، فمن حيث أنّه صاحب القدرة فالفعل منتسب إليه بالمباشرة، ومن حيث أن يوجّه قدرته إلى الخير أو إلى الشر، فيعتبر هومباشراً حيث وجّهها، وهذا يعني الإيمان بقدرة الله تعالى الذي على كل شيء قدير، في حين أن التفويض يستلزم عجزه سبحانه، والجبر يستلزم الظلم سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

وهذه المنزلة المتوسطة هي ما يشعر الإنسان بها في نفسه إذ يقوم بالأفعال بمحض اختياره بالوجدان.

---

(١) فاطر: ٨.
(٢) الكهف: ٣٠.
(٣) فصّلت: ٤٦.
(٤) الإنسان: ٣.

القضاء والقدر:

اما القضاء فهو الامر المحتوم من الله، وهو أمر لايعلمه سواه وسوى ما علّمه رسوله (ولارادّ لقضائه) كالأجل المقضيّ الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾.[١]

وتتلخّص العقيدة بالقدر، بالعقيدة بالأسباب والنتائج، قال تعالى: ﴿قد جعل الله لكلّ شيء قدراً﴾[٢] وقال: ﴿وإن من شيء الّا عندنا خزائنه وما ننزّله الّا بقدر معلوم﴾.[٣]

وقال: ﴿إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾.[٤]

والقدر ـ كما في هذه الآيات ـ هو النظام الحاكم في الكون وهو نظام العلّية الذي أجراه تعالى بقدرته و «أبى الله أن يجري الأُمور الّا بأسباب».[٥]

و هذا النظام يعمّ الخير والشّر في الكون والحياة والتشريع، فما يحصل شيء من التغّير في الكون الّا بسبب كوني وما يحصل تغيّر في الحياة سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً بسبب مماثل، ولا يتغيّر التشريع الّا بسبب موجب التغير. قال تعالى: ﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾.[٦]

وقال رسول الله ﷺ: «لايؤمن أحدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشرّه»[٧] فالإيمان بالقدر جزء من العقيدة الإسلامية، وهو درس للإنسان على أن كلّ شيء يجري في الكون بمقادير وموازين معيّنة وعلل وأسباب مضبوطة، فكلّ من اختار سبباً مع رعاية الشروط المعتبرة، لابد وأن يصل إلى النتيجة، هذامن جانب الإنسان.

و أما من جانب الله سبحانه فهو عالم بأن الإنسان ماذا سيختار، وماتكون نتيجة إرادة

---

(١) الأعراف: ٣٤.
(٢) الطلاق: ٣.
(٣) الحجر: ٢١.
(٤) القمر: ٤٩.
(٥) الفصول المهمّة في اصول الائمّة ١: ٤٨٦، ح ٦٨٥.
(٦) الرعد: ١١.
(٧) التوحيد: ٣٨، ح ٢٧.

الإنسان، ولا يستلزم علمه فعلاً، بل علمه تعالىٰ بفعل الانسان كعلم الانسان بنجاح ولده في العمل والدراسة للعلم بذكائه مثلاً، فلا يكون نجاح الوالد في العمل والدراسة للعلم بذكائه مثلاً، فلا يكون نجاح الولد بسبب علم الوالد بل سببه الدراسة.

وبالجملة، فالإيمان بالقدر درس لليقظة والشجاعة، وحثٌ على العمل الهادف، وخلقٌ لروح الأمل في الحالات المفاجئة، كما قال تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان الّا ما سعىٰ وأنّ سعيه سوف يرىٰ﴾[1]، ولنعم ما قيل:

ولم أجد الإنسان الّا ابن سعيه ... فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا

وبالهمّة العلياء ترقى إلى العلىٰ ... فمن كان أعلى همّة كان أظهرا

ولم يتأخّر من أراد تقدّما ... ولم يتقدّم من أراد تأخّرا

ومن العجيب جداً أن يُؤاخذ على الإيمان بالقدر بأنّه سبب الكسل وأنه الاتكالية والسلبية، في حين أن الإيمان به إيجابية ونشاط ودرس لليقظة والعمل.

وهذا معنى كلام الإمام علي الهادي عليه السلام: «المقادير تريك ما لم يخطر ببالك».[2]

---

(١) النجم: ٣٩.

(٢) مستدرك سفينة البحار ٨: ٤٣١

التوكّل والتواكل

قال تعالى:﴿ومن يتوكّل على الله فهوحسبه إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكلّ شيء قدراً﴾[1]

يقارن سبحانه في هذه الآية بين القدر والتوكلّ، فبعد ما علمنا بتقدير الأسباب من الله تعالى يجب على العبد أن يأخذ بها مؤمناً بقدرة الله العليا التي تتحكّم في كلّ قدرة، فالتوكّل على الله معناه الاعتماد عليه بعد السعي والأخذ بالأسباب، وهو خُلُق رفيع وفضيلة إنسانيّة توجب راحة نفسيّة وطمأنينة قلبيّة.

فالتوكّل على الله يستلزم العمل والسعي، فالمريض إنما يكون متوكّلاً إذا شرب الدواء وطلب الشفاء، وهكذا العامل والكاسب والطالب، والاعتماد بدون العمل يسمّى (التواكل).

والفرق بينهما كبير؛ إذ التواكل الكسل والإهمال فالفشل، والتوكّل السعي والكفاح والعمل، والتواكل مذموم في كلّ شريعة عليا بالعكس من التوكل، واعظم مثال يحتذى به قول الرسول الأعظم ﷺ القائل: «اعقلها وتوكّل» لرجل ترك ناقته من غير أن يربطها ثقة بالله تعالى.

و قال تعالى: ﴿وما من دابّة في الأرض الّا على الله رزقها﴾.[2]

وفي هذه الآية نرى الله سبحانه يربط الرزق بالسعي ارتباطاً وثيقاً، يقول سبحانه: أن ليس في هذا الأرض من حيّ متحرك الّا والله يرزقه، والمعنى أن الرزق إنما هو لمن تحرّك في الأرض ويسعى، دون الميت ودون الحي الذي لايتحرك، فالحركة والدبيب يستلزم الرزق دون السكون والراحة، وهذا ما يحسه الإنسان بالوجدان، فكل هذه الدواب إذا سعت إلى شيء ميسور لها حصلت على ما تحتاج اليه بالحركة دون العكس، وهكذا في

---

(١) الطلاق: ٣.

(٢) هود: ٦.

مطاوي الآيات الكريمة نجد مسألة السعي والعمل جعلت مورد الاهتمام.

قال تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾.

وقال تعالى: ﴿وإن ليس للإنسان الّا ما سعىٰ وأن سعيه سوف يرى﴾.(٢)

وغيرها من الآيات التي تحضّ على السعي وكسب الرزق والعمل إلى جانب الاعتماد على الله سبحانه وتعالىٰ.

في رحاب السُّنَّة:

١ـ الرسول ﷺ: «التوكل هو العلم بأن المخلوق لا يضّر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لاحد سوىٰ الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله ،فهذا هوالتوكلّ».(٣)

٢ـ ومّر أمير المؤمنين عليه السلام يوماً على قوم في زاوية المسجد فقال: من أنتم ؟فقالوا: نحن المتوكّلون، قال عليه السلام: لا، بل أنتم المتآكلة، فإن كنتم متوكلين فما بلغ بكم توكلكم؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا وإذا قصدنا صبرنا. قال عليه السلام: هكذا تفعل الكلاب عندنا. قالوا: فما نفعل؟ قال عليه السلام: كما نفعل. قالوا: كيف تفعل؟ قال عليه السلام: إذا وجدنا بذلنا وإذا فقدنا شكرنا».(٤)

٣ـ الكاظم عليه السلام: «التوكّل على الله درجات، منها: أن تتوكّل على الله في أمورك كلها فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه يألوك الّا خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكّل على الله بتفويض ذلك إليه، وثق به فيها وفي غيرها».(٥)

وهكذا نجد التوكّل في الإسلام إيمان وعمل، والتواكل كسل وفشل، وأنّ الله لا يأمرنا بالاستسلام بل يأمرنا بالعمل والنشاط والتحرر من المغريات.

---

(١) الملك: ١٥.
(٢) النجم: ٤٠.
(٣) تفسير نور الثقلين ٥: ٣٥٨، ح ٥٩
(٤) مستدرك الوسائل ١١: ٢٢٠، ح ١٢٧٩٨
(٥) الوسائل ١٥: ١٣، ح ٣٠٧، مستدرك الوسائل ١١: ١٦، ح ١٢٧٨٣

إيثار الدنيا

جاء في الحديث النبوي النهي عن إيثار الدنيا، ومن أفراده الظاهرة:

١ـ طلب رضى المخلوقين، وهوجميل جداً إذا لم يتسلزم مصادفة سخط الخالق، وقد ذكرنا في حديث سابق أنّ رضى الناس غاية لاتنال.

٢ـ البخل بمال الدنيا على المحتاجين مع القدرة، ويقابله السخاء وإيثار الدنيا ـ بمعنى جعله هدفاً للحياة.

و البخل أمر يمقته الإسلام، فإن الدنيا هي الدار الزائلة، وفي هذا يقول الإمام علي عليه السلام: «إن الدنيا والآخرة عدّوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحّب الدنيا وتولاّها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماشي بينهما، كلّما قرب من واحد بعد عن الآخر، وهما بعد ضرّتان».[١]

والمراد من الآخرةُ هي العاقبة كما قال تعالى:﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوّا في الأرض و لافساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٢]

فإن الآخرة هي الحياة بعد الموت للجميع ولا يختص بطائفة خاصة.

وكلامه عليه السلام مقصور على إيثار الدنيا بمعنى جعلها غاية في الحياة من دون الاهتمام بالواسطة والعاقبة، فالنهي إنما هو عن المحرمات الغير المشروعة، وأما المشروع من الملاذّ فلم ينه عنها بل حثّ عليها، فقد قال تعالى: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[٣]

وقال تعالى ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.[٤]

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٣ الحكمة ١٠٣

(٢) القصص :٨٣.

(٣) القصص :٣٢.

(٤) الأعراف :٣٢.

وقد ورد الترغيب في طلب الدنيا في كثير في الروايات:

قال الحسن عليه السلام: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».(١)

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «اعمل عمل امريء يظنّ أنه لن يموت أبداً، واحذر حذر امريء يخشى أن يموت غداً».(٢)

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق.. فاعمل عمل من يرجو ان يموت هرما، واحذر حذر من يخاف أن يموت غداً»(٣).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «أصلحوا دنياكم وكونوا لآخرتكم كأنكم تموتون غداً».(٤)

٢ ـ الرسول صلى الله عليه وآله: «اعظم الناس همّاً المؤمن؛ يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته».(٥)

٣ ـ علي عليه السلام: «ان الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم﴾ فمن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه».(٦)

٤ ـ علي عليه السلام: «إنما الناس ثلاثة: زاهد وراغب وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء فاته، وأمّا الصابر فيتمنّاها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأمّا الراغب فلا يبالي من حلّ أصابها أم من

---

(١) مستدرك الوسائل ١: ١٤٦، ح ٢٢٠.
(٢) السنن الكبرى :للبيهقي ٣: ١٩.
(٣) شرح اصول الكافي ١:٢٧٦.
(٤) مسند الشهاب ١: ٤١٦، ح ٧١٧.
(٥) كنزالعمال ١:١٤٤، ح ٧٠٢.
(٦) الوسائل ١٦: ١٩، ح ٢٠٨٥٢، والاية من سورة الحديد: ٣.

حرام».[١]

٥ ـ المجتبى عليه السلام: «لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك الّا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ في حلالها حساباً و في حرامها عقاباً وفي الشبهات عتاباً».[٢]

٦ ـ الصادق عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مقفر جدب، فأما إذا أقبلت الدنيا فأحق اهلها بها أبرارها لافجّارها، ومؤمنوها لامنافقوها، ومسلموها لاكفّارها».[٣]

٧ ـ الصادق عليه السلام: «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحرم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لاتكون بما في يدك أوثق ممّا عند الله عزّوجل».[٤]

٨ ـ وقال رجل للصادق عليه السلام: انّا لنطلب الدنيا ونحّب أن نؤتاها، فقال عليه السلام: «تحبّ أن تصنع بها ماذا؟ فقال: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق واحج واعتمر، فقال عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة».[٥]

٩ ـ الكاظم عليه السلام: «ليس منا من ترك دنياه لدينه أوترك دينه لدنياه».[٦]

وهكذا يكون موقف الإسلام، وهدفه التوازن بين الدين والدنيا في الحياة.

---

(١) التوحيد: ٣٠٧.
(٢) كفاية الاثر: ٢٢٧.
(٣) الكافي ٥: ٦٥، ح ١.
(٤) التهذيب ٦: ٣٢٧، ح ٨٩٩.
(٥) الكافي ٥: ٧٢، ح ١٠.
(٦) تحف العقول: ٤١٠.

البخل والانفاق

قال تعالى: ﴿إنّ الله لايحبّ من كان مختالاً فخوراً الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ماءآتاهم الله من فضله﴾[1]

المال هو الوسيلة إلى الخير والشّر على حدّ سواء، فيكون امتحاناً للبشر في اختياره أيّاً منهما، ومقياساً لتفكيره وتدبيره،قال تعالى:﴿واعلموا انّما أموالكم وأولادكم فتنة.﴾[2]

والفتنة هي الامتحان، وكلّما ارتفعت شبة لتهالك في جمع المال ـ من أي مصدر كان، و بدون أي هدف إنساني ـ تتولد بنفس النسبة مشاكل اجتماعية متفاوتة ابتداء من السرقة وانتهاء إلى الإجرام، كما يعيشها العالم الغربي في الاغلب، وإذا كان لجمع المال مصدراً مشروعاً ومصرفاً إنسانياً قل فيه ذلك بالطبع، ولذلك نهى الإسلام عن البخل باعتباره صفة مولّدة للحقد الاجتماعي، وأمر بمساعدة الفقراء والضعفاء لئلاّ تمتلىء قلوبهم حقداً تتولد من الذين لم يؤدّوا حقوق الفقراء، وبالنتيجة تكون نقمة على أصحاب النعم، قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هوشرّ لهم﴾.[3]

ذلك أنّ البخل في نفسه فقر، وما أفقر صاحب المال الذي لاينتفع، به قال تعالى: ﴿ومن يبخل فإنّما يبخل عن نفسه﴾.[4]

هذا بالإضافة الىٰ العذاب الأليم الذي سيوافي كل من يكثر من خزن الاموال بغير حقّ و لايساهم في بناء المجتمع الأفضل، قال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفّضة ولا

---

(١) النساء: ٣٧.
(٢) الأنفال: ٢٨.
(٣) آل عمران: ١٨٠.
(٤) محمد: ٣٨.

ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذابٍ أليم﴾.[١]

الانفاق:

ونظراً لأهمية الانفاق ورد في القرآن الكريم أكثر من مائتي آية في الانفاق، وقد قرن سبحانه الانفاق بالإيمان في قوله: ﴿ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾[٢]

والإنفاق هو إخراج المال بحق، ومنه قولهم: (نفق البيع) إذا خرج من يد البائع إلى المشتري، واختلف المفسّرون في المراد من الآية:

فقيل: المراد (النفقة)، إذ هما بمعنى واحد.

وقيل: (الصدقة)، ففي الحديث: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله»[٣].

وفي الفقه الإسلامي دراسات مستوعبة لشرح النفقات الواجبة، والذي يفيده التأمّل في الآية الكريمة إنّ الإنفاق لايختص بالمال، بل يعمّ كلّما رزق الله من العلم والمال والنصح والإرشاد، وكذلك البخل لايختص بالماديات، بل يعمّ كلّ فائدة اجتماعية تكون مسهمة في إسعاد المجتمع.

وتأكيداً على أهّمية الإنفاق كثيراً ما يقرن بين الصلاة والانفاق في القرآن الكريم، على العكس من البخل قال تعالى:﴿وانفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شحّ نفسه فأُولئك هم المفلحون﴾[٤]

---

(١) التوبة: ٣٤.
(٢) البقرة: ١.
(٣) كنزالعمال ٦: ٣٩٠، ح ١٦٢٢٢
(٤) التغابن: ١٦.

في رحاب السُّنَّة:

١ ـ الامام علي عليه السلام: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء».[١]

٢ ـ الامام علي عليه السلام: «عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنىٰ الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء».[٢]

٣ ـ الباقر عليه السلام: «الموبقات ثلاث: شحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه».[٣]

٤ ـ الصادق عليه السلام: «ثلاث إذا كنّ في الرجل لايخرج أن تقول أنه في جهنَّم: الجفاء والجبن والبخل».[٤]

٥ ـ الصادق عليه السلام: «خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الايمان البّر بالإخوان والسعي في حوائجهم، وفي ذلك مرغمة الشيطان وتزحزج عن النيران».[٥]

٦ ـ الرضا عليه السلام: «السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجّنة بعيد من الناس».[٦]

٧ ـ الصادق عليه السلام: «السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو عماد الإيمان ولا يكون مؤمن إلاّ سخيّاً، ولا يكون سخياً الّا ذو يقين وهمّه عالية، لأنّ السخاء شعاع نور اليقين، ومن عرف ما قصد هان عليه ما بذل».[٧]

وهكذا ترى البخيل إنّما يبخل بما رزقه الله من العلم والمال والنصح أوغيرها لغرض واحد، هو الترّفع على المجتمع، وأنّ ذلك سوف يولّد حقداً اجتماعياً، ويكون أوّل من يتضّرر منه هو البخيل.

---

(١) أمالي الصدوق: ٨٤، ح ٥٠.
(٢) نهج البلاغة ٤: ٢٩، الحكمة ٢١٦.
(٣) بحار الانوار ٧٣: ٣٠٢، ح ١١.
(٤) الخصال: ١٥٩، ح ٢٠٤.
(٥) الكافي ٤: ٤١ وح ١٥.
(٦) مستدرك الوسائل ٧: ٢٦، ح ٧٥١٩.
(٧) مستدرك الوسائل ٧: ١٧ ح ٧٥٢١.

والإسراف:

وقد يكون البخل ردّ فعل معاكس (للإسراف) العائلي، فتجد الولد (بخيلاً) إذا كان الوالد (مسرفاً) وكذا العكس.

والإسلام في تشريعاته يهدف الاعتدال والتوازن، ففي نفس الوقت الذي يذم البخل هو أيضاً يذمّ الإسراف، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾.(١)

والإسراف هو وضع المال في غير مواضعه، فالمسرف يضّر نظام المعيشة، وباختلاله يختلّ الاتزان في الحياة الاقتصادية بالنسبة إلى الفرد وبالنتيجة بالنسبة إلى المجتمع.

قال تعالى: ﴿ولا تبذّر تبذيراً إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً﴾.(٢)

وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾.(٣)

وليس صرف المال في النفقات اللائقة إسرافاً، ولماّ سئل الإمام الصادق عن الرجل يتّخذ الثياب الكثيرة الجياد يصون بعضها بعضاً يتجّمل بها، أيكون مسرفاً؟ قال الإمام عليه السلام: «لا، لأن الله عزوجل يقول: «لينفق ذو سعة من سعته».(٤)

ولا يختص الإسراف بالمال، بل قد يكون في الوقت والعمل، وإسراف العامل هوالإهمال للأدوات التي يملكها هو أو غيره من الافراد أو الحكومات، فإنّ هذه الأدوات مشتراة بثمن، و عملها ينفع المجتمع، وإذا اعتنى العامل بها استطاعت أن تؤدي عملها بدقة واتقان من دون حاجة إلى قطع غيار، وإذا أهملها العامل تلف بعض أجزائها وكان

---

(١) الفرقان: ٦٧.
(٢) الإسراء: ٢٧.
(٣) الإسراء: ٢٩.
(٤) دعائم الاسلام ٢: ١٠٠، ح ٥٤٩

سبباً في إضاعة المال والوقت حتى يمكن تحصيل الغيار، وبالنتيجة تعطيل للإنتاج فيحرم المجتمع من المادة المطلوبة.

وكذلك في الطعام قال تعالى:﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[١] وقد نهى الله عن الإسراف فيهما خاصة باعتبار أن الطعام هو الحاجة الضرورية للمجتمع الإنساني المتطورة بتطور فنون الطهي، لذلك يؤكد القرآن بأن التوازن في الأكل والشرب هو سبيل الصحة. قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطنه، فإن كان ولابدّ، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[٢] وقال ﷺ: «كل وأنت جائع وامسك وأنت جائع».[٣]

وهكذا يؤكّد الإسلام على عدم الإسراف بما يؤكده الطب ـ بفرعيه: الوقائي والعلاجي ـ ويقرّرة، من أن الطعام الزائد عن الحاجة الضرورية يسبب اجهاداً للجهاز الهضمي وارهاقاً للصحة وزيادة في الوزن، فقد سبق الإسلام الطب الحديث في تشريعه بأن لايأكل الإنسان الطعام الّا إذا أحس بالجوع وما أعظم كلامه ﷺ: «صوموا تصحّوا».[٤]

---

(١) الاعراف: ٣١.
(٢) مستدك الوسائل ١٦: ٢١٠، ح ١٩٦٢٠.
(٣) مستدرك الوسائل ٧: ٥٠٢، ح ٨٧٤٤.
(٤) قرب الاسناد: ٢٨، ح ٩٢.

The Open School
P.O. BOX 53573
CHICAGO, IL 60653-0398

614-18-29